خبرة الاستماع إلى القرآن الكريم:
دراسة ظاهراتية (فينومنولوجية) كيفية

د. محمد حسام الدين إسماعيل

الأستاذ المساعد بكلية الإعلام جامعة القاهرة

عن الدراسة وأهميتها:

تعنى هذه الدراسة بالخبرات الشخصية أو الجماعية المستجيبة للنص القرآني المسموع في شكل طقوس يومية واستجابات موقفية تنتظم في حياة المسلم العادي، وهي كدراسة إعلامية بينية لها تقاطعاتها مع دراسات التلقي الكيفية ودراسات الثقافة الشعبية، وجزء منها يرتبط بنمط الإنتاج والاستهلاك الرأسمالي المقبول في مجتمع مسلم.

وترتبط خبرة الاستماع إلى القرآن الكريم إثنوجرافيا بمفاهيم البركة والتطهر وطرد الشياطين والأرواح الشريرة والوقاية من الحسد وجلب الرزق، وإسباغ الهدوء والسكينة على المكان الذي يتلى فيه.

وكذا ترتبط خبرة الاستماع إلى القرآن الكريم نفسيا بالتطهير بالمفهوم الأرسطي والذي يشمل الاندماج مع النص القرآني لدرجة البكاء وتخليص الجسم من التوتر، بل بالشفاء من الأمراض النفسية والجسدية وتقليل الشعور بالألم إكلينيكيا، وترتبط خبرة الاستماع للقرآن أيضا كنص شعبي ومقدس في آن معا بمفهوم الطرب المستعار من الاستماع للموسيقى والأغاني والذي يعني: أن يكون المؤدي مندمج لحنيا وموسيقيا والتي ترفع المؤدي إلى ذروة من النشوة، وهو ما يتحقق أيضا لدي المستمعين ويتم التعبير عنه بالسلطنة أو الطرب، وهذا لا يحدث إلا في لحظات الاستماع المركز.

بل ذهب البعض للقول بأن هناك تأثيرا لتلاوة القرآن وتجويده على نظام الموسيقى العربية جماليا، حيث ما زال الغناء العربي معتمدا على الميلودي أو اللحن الرئيس، وهو ما يؤديه المطرب الفرد أكثر من اعتماده على تعددية الأصوات أو البوليفونية(١).

والقرآن بحد معناه هو كلام الله المقدس الذي يقرأ، وتسميته بالذكر أو Reminder تعطينا فكرة عن إعادة قراءته وتلاوته ووظائف ذلك الدينية والجمالية والاجتماعية.

وتلاوة القرآن (ومن ثم الاستماع إليه وهو يتلى) ليست شعيرة تعبدية فقط وليست عملا فرديا ولا شخصيا فقط،

ولكنها ممارسة اجتماعية تم رصدها عبر قرون الإسلام، وخير الناس على حد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه، وهي العملية التي يظهر فيها القرآن المقروء بوضوح ومن هنا جاءت ممارسة الاستماع إلى القرآن الكريم.

ويؤشر الاستماع على الدور الوظيفي الجمعي للقرآن في حياة المسلمين حول العالم، وكذا على مركزية الثقافة الشفهية في المجتمعات العربية الإسلامية، فالفعل اقرأ في هذه الثقافة مرتبط بالفعل اسمع وهو أمر - في الثقافة العربية الإسلامية - يتعدى القرآن الكريم إلى الشعر والقصص الشعبية وسير الأبطال.

وتذهب دانيلا تالمون هيللر Talmon-Heller إلى أن «قراءة النص الديني مرنماً على جموع من المؤمنين موجودة في الديانات السماوية الأخرى كاليهودية وبدرجة أقل في المسيحية، ولكن الاستماع إلى القرآن مرتلا ومجودا تكاد تكون خصيصة مقتصرة على القرآن الكريم، فالنواحي الإبداعية في تلاوته وتجويده لا شبيه لها في النصوص السماوية الأخرى»(٢)، وهو الأمر الذي أكدته أيضا الباحثة الفرنسية سولانج كوربان Corbin بقولها أن «تجويد القرآن هو أعلى شكل من التفنّن الموسيقي في التلاوة المرنمة بين سائر التقاليد الدينية السماوية»(٣).

والاستماع إلى القرآن له مدى زمني أو Time Span للتركيز يختلف من إنسان لأخر، وطبيعي أن يصاحب الاستماع إلى القرآن الكريم تيارا للوعي يحمل منولوجا داخليا يختلف باختلاف الجنس والسن والمستوى الاجتماعي الاقتصادي والتعليمي والثقافي والحالة النفسية والجسدية للمستمع، ويختلف لدى المستمع الواحد في مراحل مختلفة من عمره، ويسمى مفهوم تيار الوعي في بعض الدراسات ب(مجرى الشعور).

ونستطيع القول أن الاستماع إلى القرآن له طقوس وهي إحدى المفاهيم المهمة في الدراسات الإثنوجرافية المحدثة، ثم سياقات للتلقي، ثم تشتت للانتباه يتم خلاله حوار داخلي مع النص القرآني مصحوب بتيار وعي ثم عودة الانتباه مرة أخرى.

ولا تخلو خبرة الاستماع إلى حوار بين المستمع والمرتل للقرآن تحمل خيالات إعجازية، مثل أن يتخيل المستمع أن القارئ يعيش معه، يحتضنه ويحنو عليه، أو يحاوره وينصح له خاصة لو كان المستمع يتيما أو يفتقد من يقوم بهذا الدور في حياته، ولأن معظم مرتلي القرآن من الرجال فيكون دور الأب أو الأخ أو الزوج أو الابن هو الدور المتخيل، إلا في ثقافات أخرى في العالم الإسلامي الذي ترتل فيه المرأة القرآن أكثر من الرجل مثل إندونيسيا.

والغريب - على ضوء مراجعة بحوث الإعلام العربية - ألا يتم تطبيق المداخل الوظيفية كمدخل الاستخدامات والإشباعات على الاستماع إلى القرآن الكريم رغم مركزية النص القرآني في الثقافة العربية الإسلامية من جهة، والشيوع - الذي يبلغ أحيانا حد الابتذال - لاستخدام المداخل الأمريكية البنائية الوظيفية في الدوائر الأكاديمية العربية من جهة أخرى.

وخلاصة القول أن هذه الدراسة ترصد خبرة الاستماع إلى القرآن الكريم كما يعبر عنها مستمعيه، ولذا كان الاقتراب الظاهراتي من المنظور السوسيولوجي مدخلا نظريا مناسبا للدراسة التي تطمح إلى الوصف التفصيلي العميق لإدراك الناس وتصوراتهم حول خبرات مختلفة متعلقة بالاستماع للقرآن الكريم، النص المحوري الرئيس في الثقافة العربية الإسلامية.

وفي بحوث الإعلام المحدثة، يَجِّبُ المنهج المبتكر والنظرية الجديدة التخصص الدقيق نظرا للاندماج الرقمي الحادث في الإعلام وتجاور النصوص المكتوبة والمسموعة والمرئية في صفحة إنترنت واحدة، وتعتبر هذه الدراسة امتدادا لتوجهات الباحث النظرية والمعرفية التي تخصص فيها منذ حصوله على درجة الدكتوراه، المدارس الكيفية: النقدية والعلاماتية (السيميولوجية) والثقافية في الإعلام.

وتفيد الدراسة من أحدث دراسات التحليل الثقافي لا سيما في مفهوم ارتباط الممارسات الدينية بالحواس، فنحن

نُقبّل القرآن ونحتضنه ونرفعه إلى جباهنا، والحق أننا نُقبّل ونحتضن المعاني التي تحمينا وتنقذنا وتربت علينا، تلك المعاني التي تشكلها خبراتنا بالقرآن.

الإطار النظري للدراسة:

اختلف الباحثون في رؤيتهم للظاهراتية أو الفينومونولوجية Phenomenology، إذ يتعامل بعض الباحثين معها بوصفها فلسفة تعود إلى مؤسسها إدموند هوسرل Husrel (١٨٥٩-١٩٣٨)، وبعضهم يستخدمها نموذجا للتنظير، والبعض الآخر يستخدمها كمنهجية بحثية(٤).

ترتكز الظاهراتية كفلسفة على افتراض أساسي وهو: أن الطريقة المثلى وأحيانا الوحيدة للمعرفة هي من خلال الخبرة، ولا يتم إنتاج المعرفة إلا من خلال هذه الخبرة، وكيفية معرفتنا بالعالم ترتكز على كيف نخبره، ولذلك فإن الظواهر هي بمثابة قوالب الطوب أو الحجارة التي نبني بها العلوم الاجتماعية والإنسانية، وأساس كل المعارف(٥).

فإذا أردنا أن نفهم جيدا خبرات الاستماع إلى القرآن الكريم والآثار المترتبة على هذا السماع، فإننا يجب أن نرصد طقوس مستمعي القرآن الكريم والمواقف الدافعة له، وذلك أثناء استخدامهم لوسائل الإعلام التقليدية والحديثة التي يمكن عن طريقها الاستماع للقرآن الكريم، إذ إن هدف الظاهراتية هي توصيف الجوانب المشتركة التي يتوحد فيها كل المستمعين عندما يخبرون ظاهرة بعينها.

وتهتم الظاهراتية كنظرية اجتماعية أساسا بدراسة الوعي الإنساني، ومسلمتها الرئيسية هي أن العالم الذي نعيش فيه علم مصنوع في وعينا، أو في رؤوسنا، والعالم الخارجي لا معنى له إلا من خلال وعينا به، وعالم الاجتماع لا يهتم بالعالم إلا من حيث إنه عالم له معنى، ولذا يتعين عليه أن يفهم كيف يصنع البشر من عالمهم عالما ذا معنى، وتدرس سوسيولوجيا الظاهراتية المعاني والمعايير والقيم والمعتقدات، وتركز على الفرد والفعل والخبرة الحدسية كنقطة بداية، أي ما تمثله الظاهرة في خبراتنا الواعية، ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها، غير أنها لا تدعي التوصل إلى حقائق مطلقة مجردة، سواء في الميتافيزيقيا أو في العلم، بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العالم(٦).

ترى الظاهراتية أن المعرفة الحقيقية للعالم تأتي عن طريق تحليل الذات نفسها وهي تقوم بالتعرف على العالم, أي بتحليل الوعي وقد استبطن الأشياء فتحولت إلى ظواهر, ذلك الوعي لا يكون مستقلاً وإنما هو دائماً مرتبط بالظواهر وخبرة الإنسان بها، وتعنى الظاهراتية بتتبع التصورات إلى الحدس الأصلي أي إلى نقطة اللقاء بين الذهن والواقع، وتركز على مفهوم القصدية أو الوعي بالشيء إذ تشير صراحة إلى أننا دائماً في اتصال مستمر مع العالم من حولنا(٧).

ويعتبر عدد كبير من الباحثين الظاهراتية منهجا تم استخدامه في مجالات دراسية عدة لفهم جوهر الخبرات الإنسانية خاصة في البحوث التربوية والصحية مثل: دراسة خبرة الاغتراب النفسي لدى طلاب المدارس، وخبرة التحول من الاتصال الشخصي في التدريس إلى الاتصال الإلكتروني، ورحلة الأمومة لدى ثلاث سيدات أثناء خبرة الحمل والإنجاب، وخبرة أن تكون شهيرا من خلال دراسة ١٥ شخصا شهيرا في الولايات المتحدة من الممثلين والرياضيين والسياسيين، تلك الخبرة التي تتراوح بين مراكمة الثروات إلى الإحساس بالعزلة وبفقدان الخصوصية.

وتنقسم البحوث الظاهراتية الكيفية بشكل عام إلى: بحوث تأويلية تفسيرية Hermeneutic وبحوث إعلائية Transcendental يكون هدفها الأساسي هو وصف الخبرات وتحليلها أكثر من تفسيرها(٨)، وتميل دراستنا هذه للنوع الثاني نظرا لقلة الدراسات في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

أجبر قلة الدراسات الإعلامية عن الاستماع إلى القرآن الكريم الباحث على أن يقسم الدراسات السابقة التي أفاد منها إلى محاور فرعية صغيرة هي: الدراسات الإعلامية قريبة الصلة، والدراسات التربوية، والدراسات النفسية والطبية، ودراسات

الثقافة الشعبية ذات الوشائج مع الإعلام، والمحور الأخير في معظمه دراسات إثنوجرافية معتمدة على الملاحظة بالمشاركة عبر فترات زمنية طويلة.

أولا: الدراسات الإعلامية

أغلب هذه الدراسات أجريت على برامج إذاعة القرآن الكريم وعلى دورها في تثقيف الشباب الأصحاء أو المكفوفين وليست على مادة القرآن الكريم المرتلة أو المجودة، وأغلبها أثبت أن الإناث أكثر تعرضا من الذكور لبرامج إذاعة القرآن الكريم لا سيما في الريف، مثل دراسة أكرم المتولي عن استخدامات الطلاب المكفوفين بالمعاهد الأزهرية للبرامج التعليمية بإذاعة القرآن الكريم والإشباعات المتحققة منها(٩)، ودراسة هاني هلال عن علاقة إذاعة القرآن الكريم بالتثقيف الديني للمراهقين المكفوفين(١٠).

ومثل دراسة سحر فؤاد علي عن دور إذاعة القرآن الكريم في التثقيف الديني للشباب الجامعي، وكانت أهم نتيجة لها أن برامج إذاعة القرآن الكريم يتم تقديمها في قوالب محدودة يغلب عليها الطابع النظري الأخلاقي أكثر من الطابع التطبيقي(١١)، ودراسة محمود خليل عن علاقة برامج إذاعة القرآن الكريم بالاتجاهات الدينية لدى الشباب في الفترة العمرية من ١٨ إلى ٢٢ سنة، وكانت أعلى البرامج التي تشكل الاتجاهات هي: بريد الإسلام، القرآن والحياة، مسابقة الشباب(١٢).

ثانيا: الدراسات التربوية

حظت إذاعة القرآن الكريم من القاهرة باهتمام الباحثين في مجال التربية فهي أولى الإذاعات المتخصصة في المنطقة العربية منذ ١٩٦٤ وحتى الآن، على سبيل المثال انتهت دراسة هالة العسيلي إلى أن المحتوى المتضمن لبثها من القرآن الكريم يحظى بنسبة ٦٨٪ من حيز البث على حين نجد البرامج تحظى بنسبة ٣٢٪ الباقية، وكانت نسب الاستماع إلى إذاعة القرآن الكريم في الريف ٨٦,١ وفي الحضر ٨١,٩٪ في عام ١٩٧٩ وارتفعت في عام ١٩٨٣ إلى ٩١,٨٪ من عينة الدراسة.

وجاء الاستماع إلى القرآن الكريم مجودا ومرتلا من أوائل الاحتياجات التي أشبعتها إذاعة القرآن الكريم حيث أيدت نسبة ٩٩,٣ من عينة دراسة هالة العسيلي كدراسة حديثة ذلك، وجاء تفضيل الاستماع إلى كل محتوى برامج إذاعة القرآن الكريم من وجهة نظر مستمعيها وفقا للترتيب التالي: الصبح، الظهيرة، المساء والسهرة، الفجر(١٣).

وأفادت الدراسة الباحث في بلورة الفكرة القائلة بأنه إذا كان الدين عامة يقوم بمجموعة من الوظائف فإن الاستماع إلى القرآن الكريم كمعبر عن الدين وتجسيدا له يخاطب الحواس يقوم بنفس هذه الوظائف وهي: تقديم إجابات على تساؤلات وجودية طرحها العقل البشري مثل من أين وإلى أين؟، توضيح الغيبيات المجهولة كالسؤال عن صفات الله وكنهه، تنظيم العلاقة بين البشر مثل رابطة الأخوة في العقيدة وحقوقها وواجباتها، وإيقاظ ضمير الفرد وصونه من الانحراف، وتقوية العزائم ومواجهة الشدائد والأزمات، وإشعار الفرد بالراحة النفسية، وإدراك أن العلم ليس بديلا للدين(١٤).

وهو ما انتهت له أيضا دراسة محمد عمر مبارك عن التربية الأسرية في ضوء القرآن والسنة، والتي كشف فيها عن وجود ٣١ مضمونا اجتماعيا، ٢٩ مضمونا روحيا، ١٥مضمونا خلقيا، ١٤مضمونا عقليا، ٧ مضامين علمية، ٤ مضامين صحية، وأن التعرض للقرآن بالتلاوة والسماع له الأثر الفاعل في تعديل سلوك الطفل إلي الأفضل فإنه يعمل علي تعديل أخلاق الطفل إلي الأخلاق الحسنة فيغرس فيه الأمانة والصدق والصبر والإخلاص، وعلي تعليم الأطفال حدود الله فلا يتعداها، وتعمل الأسس التربوية للقرآن علي صحة الأطفال فتحميهم من الأمراض التي تفتك بالجسم، وكذا علي إقتداء الطفل بوالديه في كل عمل يقومون به(١٥).

ثالثا: دراسات نفسية وطبية

كثيرة هي الدراسات باللغة الإنجليزية - والتي أجراها باحثون من ماليزيا واندونيسيا وإيران - التي انتهت إلى التأثير الإيجابي النفس جسمي Psychosomatic للقرآن في تهدئة النفس والاستجابة للعلاج والتي أجراها متخصصون في علم النفس الإكلينيكي وعلم نفس الأطفال بل وأمراض القلب والأمراض الباطنية، وهي الدراسات التي فسرت الخاصية الشفائية للاستماع إلى القرآن الكريم في ضوء طرق علاج بعض من الأمراض المستعصية بالموسيقى، وهي التقنية التي بدأتها الطبيبة الأمريكية (آني ويليامز) لا سيما في علاج أورام المخ وسرطان القولون، وذلك عن طريق ضبط الحقول الكهرومغناطيسية لخلايا المخ، مما يزيد من مناعة الجسم، لدرجة القول أن القرآن الكريم هو أرخص علاج للآلام النفسية والجسدية.

من هذه الدراسات، دراسة زولكراني وشاه علم عن تأثير الاستماع إلى القرآن الكريم مقارنة بالموسيقى الكلاسيكية على موجات المخ من نوع ألفا والتي انتهى فيها أن القرآن يفوق الموسيقى في إطلاق موجات ألفا الإيجابية(١٦)، ودراسة محمد حيدري وسارة شاهبازي عن تأثير القرآن والموسيقى على القلق لدى مرضى القلب، والتي انتهت إلى تقليل الاستماع إلى القرآن لنوبات القلق لدى عينة من المرضى الإيرانيين(١٧)، ودراسة الحسيني الزير وآخرون على أثر القرآن في تقليل التوتر والقلق لدى عينة من المرضى في ماليزيا(١٨)، ودراسة منيرة محجوب وآخرين عن أثر الاستماع إلى القرآن الكريم على الصحة العقلية على عينة من المرضى الإيرانيين في المستشفى الجامعي لجامعة زهدان(١٩)، ودراسة محمد تومبران وآخرون التي رصدت تأثير الاستماع إلى القرآن الكريم على علاج اضطرابات النوم لدى الأطفال المتوحدين(٢٠).

وذهبت الدراسة النفسية الاجتماعية للباحثة سيتي سارة هيامي وآخرون إلى وجود ارتباط بين الاستماع إلى القرآن الكريم وتقدير الحياة الدينية لدى طلاب الجامعة بماليزيا، والتي أثبتوا فيها وجود علاقة ارتباطيه بين إدراك الطلاب الجامعيين الذكور والإناث للطبيعة العلاجية للقرآن وبين تقدير ممارسة الاستماع في الحياة الدينية لهم(٢١).

رابعا: دراسات الثقافة الشعبية

وعلى صعيد أخر، درس الباحثون في الدراسات الثقافية والإعلام - وهو التخصص الذي لا تعرفه بكثرة كليات الإعلام التقليدية في العالم العربي - مركزية النص القرآني في الثقافة الشعبية العربية مثل دراسة إيهاب جلال عن عادة الاستماع إلى القرآن الكريم في المجتمعات العربية لمقاومة السحر ولطرد الشياطين والأرواح الشريرة والتي جعلت للنص القرآني معنى أخر للتسلية والترفيه الطاهر والمسموح به ينفرد به هذا العالم العربي الإسلامي، حيث أن القرآن في الأغلب مرتبط بنوع من التدين الشعبي غير معروف في المجتمعات ذات الديانات الأخرى، فالمجتمعات العربية هي التي جعلت للنص القرآني المسموع وظيفة خاصة هي مزيج فريد من التسلية وتدعيم الشعور بالأمان، وهي الوظيفة التي تجعل لهذه الممارسة الدينية التقليدية دور محوري في تكوين الذات الإسلامية(٢٢).

ولكن الشاهد أن حركات الأحياء الإسلامي التي بدأت في العالم العربي والإسلامي طوال عقدي السبعينات والثمانينات حاولت ونجحت إلى حد ما في إحلال القرآن محل الأغاني التي كان ينظر لها على أنها نوع من أنواع الملاهي عن عبادة الله ومادة لإضعاف الروح الدينية للمسلم، وهو الأمر الذي يؤكد سعي هذه الحركات إلى تعميق ممارسة الاستماع إلى القرآن الكريم في الطقوس اليومية للمسلم أي أن تصبح جزءا من ثقافته الشعبية بحسب التعريف الأكاديمي لهذه الثقافة.

وكذلك سعت هذه الحركات - التي كان الكثير منها غير مسيس - إلى فك ارتباط المسلم بالعادات الغربية التي تدعم الانحلال، والسعي نحو المتعة الذاتية غير المحدودة، وعبادة نجوم الموسيقى والغناء، واستبدال نجومية النص القرآني

ونجومية مرتليه ومجوديه بنجومية الثقافة الشعبية الغربية الزائفة، إذ إن قراء القرآن هم في التحليل النهائي هبات من الله سبحانه وتعالي لحفظ كلامه المجيد، فالثقافة العربية الإسلامية هي ثقافة النص القرآني على حد تعبير المفكر الراحل نصر حامد أو زيد.

وأحد الأسباب الرئيسية لهذه المركزية هي إحاطته بالثقافة الشعبية، ولذلك فإن هذه المركزية للنص القرآني هي مركزيته السمعية الشفاهية الأدائية قبل أن تكون مركزيته المكتوبة نتيجة ارتفاع نسبة الأمية في العالم العربي، ونتيجة ارتباطه بشعائر الثقافة من زواج وعزاء وإنجاب وطهور، ونتيجة أن شعائر حفظه أو تذكره والذي يلعب فيه النص المسموع دورا كبيرا هي شعيرة من الشعائر وواجب على كل مسلم، وهذه المجالس هي جزء من الحياة الاجتماعية للمسلمين.

ورغم رفض المحافظين في العالم الإسلامي لهذا المدخل، فإن القرآن هو أقدم نص تحول إلى نص شعبي مسموع عبر مئات من السنين من عمر الثقافة العربية الإسلامية، في صعودها وانكسارها كان حاضرا ليؤدي وظائف حفظ الهوية ومقاومة الأجنبي الدخيل، وتحمل الحرمان والتفاوت الاقتصادي الاجتماعي، والاستبداد السياسي.

وعندما بدأت تتضح الآثار السلبية لعمليات العولمة والتغريب التي لعبت فيها نصوص الثقافة الغربية من موسيقى وغناء وأفلام ومسلسلات في الفضائيات دورا كبيرا، كانت الاستجابة هي إطلاق قنوات دينية إسلامية لمقاومة ذلك ببث الوعي الإسلامي، وتحول العديد من القنوات إلى قنوات لبث القرآن الكريم مرتلا ومجودا لتقديم البديل الملائم للمسلم والمسلمة عن ثقافة الغرب المنحل، ومن بينها قنوات اقرأ ومجد والرسالة وغيرها، منذ أن تم إطلاق اقرأ في عام ١٩٩٨، ويمكن تصنيف القنوات إلى صوفية وسلفية وشيعية.

ومن الجدير بالذكر أن انحلال ثقافة الغرب البصرية تم مقاومتها بالثقافة السمعية المكينة أي بنصوص القرآن الكريم، وكانت أحد المقولات الأساسية في ذلك أنه إذا كانت الذات يصيبها القلق والاضطراب والتشظى والخواء نتيجة نصوص الثقافة الشعبية الغربية والعربية المقلدة لها، فإن القرآن وقنواته يقدمان الحل والعلاج، آيات فيها هدى ونور وشفاء لما في الصدور.

وأنه إذا كان المجتمع الغربي يستبعد النصوص الدينية وإنشادها من المجال العالم ويعتبر ذلك نقطة قوة على علمنته العقلانية، فإننا نحن المسلمين نضع القرآن في مركز هذا المجال العام، وتصطف حوله كل البرامج الإسلامية كبرامج الفتاوى والدراما الدينية وكل الأنواع Genres التي تعلي من شأنه، بل لقد قلدنا الغرب وبدأ هو أيضا في إطلاق قنوات دينية مسيحية.

وقد حللت الدراسة ردود أفعال قطاع من المستمعين للقرآن الكريم وهي الوصول لحالة من النشوة الروحية أو الطرب و»السلطنة» التي يتم التعبير عنها في كلمات الاستحسان المقبولة، وهي لفظ الجلالة (الله) أو عبارات مثل (يا سلام) أو (أحسنت) على الرغم من رفض الاتجاهات السلفية والمحافظة لهذه الاستجابة، وهي استجابة مرتبطة بالثقافة المصرية خاصة وتشبه حالة المستمعين لأيقونة الغناء العربي أم كلثوم (١٩٠٠-١٩٧٥)، والتي برحيلها انقرضت تدريجيا هذه الممارسة المصاحبة للتلقي لا سيما مع تعاظم تأثير الغناء الغربي على الغناء العربي.

وهو ما أكده الباحث تشارلز هيرشكيند Hirschkind في دراسته عن الاستجابات لأشرطة الكاسيت الشعبية في مصر(٢٣)، بشرحه لمفهوم الطرب وهي علاقة خاصة بين المؤدي والمستمع لها جذورها في الذكر والغناء الصوفي ثم تطورت في حفلات الأغاني للمطربين العرب الكلاسيكيين مثل محمد عبد الوهاب وأم كلثوم والتي تم حفظ تسجيلاتها ثم انتقلت في صور حديثة في عصر الفضائيات في شكل حرص بعض المطربين الشبان على أن تكون لهم بعض الأغاني الدينية التي ترتبط إذاعتها بشهر رمضان المقدس لدى المسلمين لارتباطه بشعيرة الصوم، ثم تطور ذلك

بظهور بعض المطربين الذي يقتصر أدائهم على الأغاني الدينية جاذبين لهم جيلا جديدا من المستمعين يتعرضون لهذه الأغاني على المنصات الرقمية الجديدة ومواقع التواصل الاجتماعي المتمركزة حول السماع مثل (ساوند كلاود).

ويصل بعض المتعرضين للنص القرآني من الجيل الجديد إليه عبر البرامج التي تحاكي برامج كيفية التعامل مع المشكلات على غرار (عرض أوبرا وينفري) و(دكتور فيل)، على اعتبار أن للقرآن أثرا ملطفا علاجيا يساعد على حل طيفا واسعا من المشكلات مثل: الآثار النفسية للإخفاقات في الحب والزواج والعلاقات مع الأصدقاء والأقارب، وعدم النضج، والمرض والمشكلات الاقتصادية المرتبطة بالخروج من أسرة فقيرة والبطالة وفقدان العمل ونقص الدخل.

ويرتبط قطاع أخر من جماهير الفضائيات العربية الجديدة بقدرة القرآن الربانية في مقاومة السحر والأعمال السلفية ووسوسة الشياطين أو حتى حضور الجان في الحياة الشخصية أو الجنسية، أو الأحلام والرؤى المفزعة وهم قطاع مؤمن بهذه الأفكار الميتافيزيقية، ويجد الحلول لها في قنوات مثل: كنوز وشهرزاد، والتي تقدم له نصوص من القرآن متواترة مثل آية الكرسي لعلاج ذلك وكذلك أنواع من الأدعية والرقى، وهو أمر مختلف عن قدرة القرآن العلاجية والتي لها أصول وأبحاث طبية أكثر علمية ورصانة.

وكذلك كان القرآن حاضرا في البرامج التي تدمج المحلي والعولمي فبرامج تليفزيون الواقع التي حاكت البرامج الغربية في مسابقات الغناء وصناعة النجوم، تم تقديمها في مسابقات لحفظ القرآن الكريم كي تأخذ شكلا مقبولا لدى جموع جماهير العالم الإسلامي، ولمقاومة تأثير البرامج التي تصنع نجوم للثقافة الشعبية غير مرتبطين بالقرآن الكريم، ولتكون شكلا أخر من البرامج التي تكشف عن مركزية النص المسموع.

وعلى حد تعبير الباحث في الدراسات الثقافية والدين مايكل هوفر فإن هذه الأشكال الجديدة مثل مسابقات حفظ القرآن والاستماع للنص الديني المركزي لدى المسلمين يكشف عن نجاح قنوات الاتصال الجديدة في أن تكون وسيطا للدين في عصر أصبح الدين عبارة عن مجموعة من الممارسات الفردية المرتبطة بالمجال العام والتسليع والعلاج أكثر مما كانت في الماضي.

ويرتبط القرآن المسموع في شكل أشرطة كاسيت وأسطوانات بالسلع التي تعد علما على الهوية الإسلامية كالمصاحف والمسابح وأغطية الرأس وسجاجيد الصلاة والبوسترات التي تحمل آيات القرآن والتقويم الهجري وألعاب الأطفال والأجروميات العربية وساعات الحائط والأطر المحلاة بالصدف وأعمال الأرابيسك وغيرها كما رأت بريجيت مايـر Mayer، وتتغلغل النص القرآني وحضوره في هذه السلع يكشف أهمية إحاطته بحياة المسلم وحضوره كسلعة ليست فقط علما على الهوية ولكن أيضا جالبة للراحة والآمان النفسي، أي معبرة عن القوة الروحية للقرآن(٢٤).

وكذلك درس حبيب الله عباسي وآخرون الاستماع إلى القرآن الكريم كشعيرة مركزية في الجماعات الصوفية، والتي - وإن لم تقتصر عليهم - تشكل جزءا مكينا من الطقوس الصوفية والتي تدعم الجانب الجمالي في ثقافتهم التي تعد واحدة من الثقافات الفرعية الأساسية Sub-Cultures في المجتمعات الإسلامية(٢٥).

وقد أثرت الصوفية الإسلامية بأشكالها الفنية مثل الذكر والتوشيح الصوفي على الفنون الأدائية الأخرى كالغناء نفسه، وعلى تطور الترتيل والتجويد للقرآن في المدرسة المصرية التي تستخدم المقامات المعروفة: البياتي والحجاز والعجم والنهاوند والصبا والسيكا والرست، فالمقام هو مصطلح صوفي، والمقامات الموسيقية لها أصول خمسة: عربية وفارسية وتركية وآذرية وأوزبكية، وإن كانت تبعا لأسمائها تعود معظمها إلى الحقبة التي انتعشت فيها الصوفية في إيران.

ودرست آن راسموسين Rasmussen الباحثة الأمريكية من جامعة كاليفورنيا في بيركلي بشكل إثنوغرافي ترتيل القرآن والأدعية الدينية والموسيقى الدينية من قبل النسوة الاندونيسيات والذي أصبح ظاهرة بدأت منذ نهاية عهد

سوهارتو وبداية عهد الإصلاح(٢٦)، ووجدت أن هذه الممارسة أصبحت في قلب الممارسات الدينية في الدولة التي تحتوي على أكبر عدد من المسلمين، ويأتي الترتيل مخالفا للطابع الرجولي للمدرسة المصرية ذائعة الصيت في العالم الإسلامي بأسره؛ إذ أصبحت هذه الممارسات التي تأتيها النساء علامة على المشهد السمعي Soundscape والمشهد الموسيقي القومي في إندونيسيا، وغيرت من الناحية الجمالية لترتيل القرآن وخلقت أدوارا جديدة للمرأة هناك، وقررت أن الطريقة الاندونيسية التي تقرأ بها المرأة القرآن هي طريقة Glocal أي مزيج بين المحلي والعولمي، وعلما على نسوية إسلامية مختلفة يتمحور فيه النص الديني الأشهر للمسلمين حول النساء وليس حول الرجال(٢٧)، ويمكن الاستماع للطريقة الإندونيسية لقراءة القرآن على هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=ZOLuXjocH٩o

ودرس إيان بيدفورد Bedford أنثروبولوجيا تحريم الموسيقى في الإسلام، ومن بين النتائج التي انتهى إليها بعد دراسة المجتمع الباكستاني أن الاستماع إلى القرآن الكريم يعد بديلا مقبولا عن الموسيقى بما يتضمن ترتيله وتجويده من استخدام للموسيقى، وأن هذا كان يرتب التقدير الديني والاجتماعي لمن يقتصر سماعه على القرآن ولا يتورط في أنواع أخرى من السماع مختلف عليها فقهيا حيث أنها - على أقل تقدير - تلهي عن ذكر الله والعبادات، ويتعلق القلب بها بدلا من تعلقه بالقرآن(٢٨).

وقد جعل السياق الباكستاني - الذي انتشرت فيه أفكار متشددة عن الإسلام لحماية الذات أمام الجارة اللدودة الهند - للأصولية الإسلامية أرضا خصبة في باكستان لا سيما وأن الأقلية المسلمة في الهند قد خرج منها من طوّر الموسيقى الهندية، وكان التشدد الباكستاني ردا على ما يراه الفقهاء ورجال الدين في باكستان من ليبرالية منفلتة يعيش فيها المسلمون في الهند.

أما الجزء الأنثروبولوجي في الدراسة فيرى أن القرآن كعلاج وشفاء هو أمر علمي وصحيح تماما، ويؤسس لذلك بما قرره العلماء من أن كل ثقافة لها ألحانها وإيقاعاتها الخاصة التي تستخدم في الشفاء والعلاج، وأن المجتمعات المسلمة ليست استثناء من ذلك، وأن الحقيقة الإكلينيكية في ذلك مثبتة وعلمية، نعم المسلمون لا يعتبرون أن تجويد القرآن نوعا من الموسيقى ولكن من وجهة نظر الراصد غير المسلم فإن الجزء الموسيقي في القرآن حقيقة مثبتة أيضا، ولكنه نوع متفرد لأن المؤمنون به يرون أنه كلام الله الإعجازي.

وهو يؤكد أن القرآن ليس فيه تحريم صريح للموسيقى والغناء وأن علية القوم من النخب منذ الدولة الأموية كانت مجالسها تتضمن الموسيقى والغناء وهو ما يمكن رصده بالتفصيل في كتاب الأغاني للأصفهاني، ولكن جموع الجماهير الإسلامية لم يكن في مقدورها هذا النوع النخبوي من السماع فأحلت محله نوعا مقبولا هو الاستماع للقرآن.

أما فريال خليفة فقد درست (ترتيل القرآن: جماليات التقوى بعدسات أنثروبولوجية)، وذلك برصد تجمعات النسوة الفلسطينيات المسلمات في مقارىء القرآن في مدينة نابلس في الضفة الغربية كشكل من أشكال التواصل الجمالي للمقدس، وأن هذه التجمعات التي يحضرها الأطفال والسيدات يبدو فيها البعد الاجتماعي واضحا بأخذ استراحات من قراءة القرآن احتساء للقهوة وتناول للشيكولاته ورواية للنكات وتبادل لأخبار المدينة حيث اعتادت كل واحدة منهن أن تأتي بما تيسر لها من هدايا بسيطة، وأنهن اعتبرن هذا التجمع يحقق المتعة الروحية والاجتماعية لهن، وأن تبادلهن للنص القرآني - كهدية جمالية قراءة واستماعا - هي لعبة تشترك فيها الحواس الخمس على نحو مشبع، وتنتهي الدراسة بأن هذه الاحتفالات التجمعية بقراءة القرآن هي ممارسة للتقوى والترفيه والتضامن الاجتماعي(٢٩).

وفي دراسة أخرى للباحث الياباني كازو أوتسوكا Ohtsuka أوضح الباحث أن الاستماع إلى القرآن الكريم هو وسيلة لنقل المعارف المقدسة من جيل إلى جيل، وهنا يتقاطع الديني مع الثقافي والاجتماعي، فالحضرة والذكر نوعان من الممارسات الصوفية التي يقرأ فيهما القرآن، وكذا تعتبر ليالي رمضان في

مصر وقراءة القرآن فيها بالأصوات المستحسنة وغيرها أشكالا تعليمية تشمل النص وما يحمله من أخلاقيات والممارسة الاجتماعية بطقوسها المختلفة، والاستماع إلى القرآن هي وسيلة نقل شفهية للمجتمعات الأقل قراءة وهي وسيلة أثبتت جدواها وفاعليتها من مئات السنين(٣٠).

ومن أعمق دراسات التحليل الثقافي دراسة الباحث فردريك ماثيوسون ديني Dennyمن جامعة كلورادو عن (ترتيل القرآن: تقاليد الأداء والاتصال الشفاهي)، وهي أقرب دراسة لتخصص (الاتصال والتحليل الثقافي).

يرى الباحث أن الدوافع وراء تعلم تلاوة القرآن قد تبدو دينية، ولكن هذه الممارسة تمتد إلى أبعاد ثقافية واجتماعية وجمالية. في إندونيسيا على سبيل المثال هناك مسابقات لحفظ وتلاوة القرآن تبدأ على المستوى المحلي وتظل صاعدة إلى مستوى الأقاليم ثم المستوى الوطني أو القومي، وهي المسابقة التي تجذب اهتمام وسائل الإعلام والمدارس والجامعات، وتسمى في إندونيسيا بالتقليد القومي إذ تنتظم الأمة جميعها في نشاط واحد عريض يوحدها ويؤكد هويتها وقيمها ومثلها العليا، للبحث عن المواهب النادرة في ترتيل القرآن، أي النقل الشفاهي الجمالي للقرآن، وهو النشاط الذي يؤكد على مركزية القرآن المقروء الشفاهي وهي الصفة النوعية لهذا النص الديني منذ نزوله.

وعلى الرغم من أن الجوائز توزع على الأصوات الفائزة فقط ولكن الجوائز الكبرى لا يمكن الإحاطة بها، المتمثلة في الجمال الذي ينتظم الأمة سواء من المتسابقين أو من الفخورين بهم: الآباء والأمهات والأقارب والأصدقاء والمعلمون وغيرهم.

تأخذ تلاوة القرآن المنغمة شكل الأداء الثقافي والنشاط الديني الإسلامي العالمي الذي يعد صفة من صفات هذا الدين العظيم، وعندما يتلى القرآن فقط تشع تلك البركات والمنح الآلهية المرتبطة بأصله وشكله ووظيفته(٣١).

ويضيف الباحث (ديني) أن الأداء الصوتي للقرآن جزء من معناه مثل نصه المكتوب، ولكن في الإسلام الصوت أعمق من الكتابة وأكثر جذرية، وهذا ما يفسر لنا لماذا لا يمكن للإسلام أن ينتشر ويجذب بنص مكتوب فقط بل إن جوهره الأساسي هو النص المسموع المقروء، فكما أن الله سبحانه وتعالى يقول للشيء كن فيكون، فإن القرآن يظل خلاقا ما دام المسلمون حريصين على نقله عبر الصوت البشري، ناقلا الأخلاق والهداية عبر الصوت البشري للمسلمين.

وهناك من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة ما يؤكد على أهمية تلاوته ونقله شفاهيا، ولم يهرع المسلمون إلى تدوينه كتابة إلا بعد أن تعرض النص المقروء المحفوظ في الصدور والألسنة لخطر تضارب القراءات، وهناك من الدراسات الكثير الذي أكد على هذه النقطة، كما أكدت الأحاديث على أهمية الصوت الحسن الجميل في قراءة القرآن، كما أكدت على أهمية التحزن أي نقل الجلال والحزن والشجن جنبا إلى جنب مع نقل المعاني، وهو ما يجعل القرآن المتلو نصا جاذبا على المستوى الصوتي، يحث من لا يعرف العربية عن السؤال عن المعاني إذ أن هذا الصوت (الرتم أي الإيقاع والميلودي أي اللحن) لا يمكن أن يصاحب إلا المعاني الجليلة العميقة الخيرة، وهذه هي صفة القرآن المركزية، وتسمى في دراسات ما بعد الحداثة ب(ميتافيزيقا حضور الصوت والكلمة).

وكذلك كان الارتباط بين الأنشطة الشفاهية والتعلم خصيصة مركزية للحضارة العربية الإسلامية عبر تاريخها قبل أن تتأثر بالحداثة الأوروبية التي تعطي النص المكتوب مكانا محوريا تعد علما على خصوصيتها الثقافية.

وعلى صعيد الفنون الإسلامية، فإن الجمال المرئي تم وضع مركزية له في النص القرآني، في جمال الخط العربي المكتوب الذي يعد بعدا أخر لجمال القرآن.

تعليق عام على الدراسات السابقة:

• ندرة الدراسات الإعلامية المصرية والعربية والأجنبية لظاهرة (الاستماع إلى القرآن الكريم) في المنطقة العربية وتميز دراسة هذه الظاهرة في حقل الدراسات النفسية

والطبية في شرق وجنوب آسيا، والتي جمعت بين الأسلوبين الكمي والكيفي في الدراسات الإمبريقية التي تعرضت لها، وتميز دراسات الثقافة الشعبية عن القرآن باللغة الإنجليزية بالمداخل الإثنوجرافية والثقافية بشكل كيفي وأبرزها الدراسات عن القرآن في إندونيسيا.

• تناول الدراسات الإعلامية لبرامج إذاعة القرآن الكريم وليس لمادة القرآن الكريم المرتل والمجود، إلا في بعض الرسائل القليلة التي تعرضت جزئيا لهذه المادة.

• من النادر أن يتم النظر إلى الاستماع إلى القرآن الكريم بوصفه علما على الثقافة الشعبية نتيجة ارتباط القرآن بالمقدس والشعائر الدينية وهو أمر جاد ودراسته العميقة تنتمي لنوع الثقافة الراقية من جهة، ونتيجة أن دراسات الثقافة الشعبية ارتبطت بالأغاني والنصوص الترفيهية من جهة أخرى، ولكن هذه الدراسات المعدودة كانت الأساس التي بنى عليه كاتب هذه السطور دراسته.

• يعتبر الباحث أن النتيجة التي توصل إليها من مراجعة الدراسات السابقة وهي أن الدراسات البينية Interdisciplinary هي التي تصدت لهذا الموضوع هي نتيجة طبيعية للغاية وتتماشى مع الاتجاهات الحديثة في كل العلوم تقريبا في الجامعات الغربية وبعض الجامعات في الدول المتقدمة من العالم الإسلامي.

• تميز الباحثون الغربيون بدراستهم الموسيقية واللحنية عن القرآن الكريم ترتيلا وتجويدا لدرجة إنفاق بعضهم ما يربو عن ٢٥ عاما في دراسة تجويد القرآن موسيقيا مثل الباحثة الأمريكية كريستينا نيلسون Nelson من جامعة تكساس في مجهودها الرائد عن (فن تلاوة القرآن)(٣٢).

مشكلة الدراسة:

من العرض السابق لأهمية الدراسة والدراسات السابقة، يتبين لنا اختفاء الدراسات سواء البنائية الوظيفية الكمية الراصدة للاستخدامات والإشباعات للاستماع إلى القرآن الكريم أو الثقافية النقدية الكيفية الراصدة لخبرة هذا الاستماع الطقوسية والموقفية.

فضلاً عن ذلك، فقد ثبت أيضاً غياب الدراسات العربية التي حاولت رؤية القرآن الكريم كخطاب إعلامي مسموع شديد الشيوع لدرجة اعتباره بجدارة نصا شعبيا إعلاميا حقيق بالدراسة والرصد، لا سيما في ظل خصوصية القرآن السماعية الشفاهية والتي يتمحور حولها الكثير من الظواهر الاجتماعية في المجتمعات العربية الإسلامية، وهو ما يدعم البعد الإثنوجرافي في الاقتراب من القرآن الكريم الغائب تماما عن كليات وأقسام الإعلام في الجامعات العربية.

وعلى هذا، تتحدد مشكلة هذه الدراسة في توصيف وتحليل خبرة الاستماع إلى القرآن الكريم لدى عينة صغيرة من جمهوره متتبعة التراث الثري للدراسات الظاهراتية أو الفينومونولوجية، وفي ذلك يتم رصد الممارسات الطقوسية والموقفية لخبرة الاستماع إلى القرآن الكريم، وتوصيف الأصوات المفضلة التي تلعب دور الوسيط في إيصال النص لجمهوره، وكذلك توصيف الآيات الأكثر تأثيرا في القراء.

أهداف الدراسة:

في ضوء المشكلة التي تتعامل معها هذه الدراسة والإطار النظري الذي تستند إليه، فإنها تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحديد الممارسات الطقوسية للاستماع إلى القرآن الكريم من حيث الأوقات داخل اليوم، أو الأيام داخل الشهر، وكذلك مدة الاستماع ومداه وتركيبية فترة الاستماع من حيث التركيز والشرود ومدى كل منهما.

٢. تحديد الدوافع الموقفية للاستماع إلى القرآن الكريم سواء المرتبطة بالشدائد والأحزان أو المرتبطة بالطرب وتحسين الحالة المزاجية.

٣. تحديد الأفكار المتضمنة في تيار الوعي المصاحب للاستماع إلى القرآن الكريم، سواء المرتبطة بالنص القرآني ومعانيه وتفسيره أو المرتبطة بالحالات النفسية والمزاجية للمستمع للقرآن.

٤. رصد التفضيلات الصوتية للمستمعين متمثلة في الشيوخ الذين يرتلون القرآن ويجودونه، وطبيعة الأداء من تحزن وشجن إلى طرب وسلطنة.

٥. رصد انتقائية اختيارات السور والآيات التي يحب الجمهور الاستماع إليها، والأسباب وراء ذلك.

تساؤلات الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الإجابة التساؤلات التالية المرتبطة بالدراسة الظاهراتية:

١. ما الممارسات الطقوسية للاستماع إلى القرآن الكريم من حيث الأوقات داخل اليوم، أو الأيام داخل الشهر؟

٢. ما المدى الزمني للاستماع، وما تركيبية فترة الاستماع من حيث التركيز والشرود ومدى كل منهما؟

٣. ما الدوافع الموقفية للاستماع إلى القرآن الكريم، وما مدى ارتباطها بالسمات الشخصية للمستمع؟

٤. ما الأفكار المتضمنة في تيار الوعي المصاحب للاستماع إلى القرآن الكريم؟

٥. من الشيوخ التي يحب المستمعون تلقي القرآن بأصواتهم، وما السمات العامة لهذه الأصوات؟

٦. ما السور والآيات التي يحب المستمعون تلقيها باستمرار؟ وما الأسباب وراء ذلك؟

نوع الدارسة ومناهجها وأدواتها:

١- نوع الدراسة:

تتميز هذه الدراسة بالطابع الاستطلاعي الوصفي في مرحلتها الأولى الراصدة للممارسات الطقوسية والموقفية لخبرة الاستماع إلى القرآن الكريم، وكذا الراصدة لانتقائية الأصوات والسور والآيات، ثم تنحو الدراسة في مرحلتها الثانية منحى تفسيرياً بالإجابة على الأسئلة المتعلقة بأسباب هذه المستويات الانتقائية.

٢- منهج الدراسة:

• دراسة الحالة: لمّا كان الاستماع للقرآن الكريم لم يدرس سواء بالاقتراب البنائي الوظيفي أو بالاقتراب الثقافي النقدي في المجتمعات العربية (أي لم يتم دراسة الجمهور العربي المتلقي للقرآن) فإن هذه الدراسة اختارت ٦ حالات من المستمعين لدراستها كيفيا بالعمق اتساقا مع الإطار النظري الجديد الذي تم الاستعانة به، وهو الإطار الظاهراتي الذي دائما ما ينتقي حالات بعينها لإجراء التراكم المعرفي الذي لا يتحقق إلا بالدراسة الكيفية العميقة(٣٣).

٣- أدوات الدراسة:

في هذه الدراسة اعتمد الباحث على أداتين مستخدمتين في البحوث الظاهراتية وهما أداة تسجيل اليوميات وأداة المقابلة المتعمقة، لا سيما وأن الحكي والتوصيف هو أساس إدراك جوهر خبرة الظواهر، وفيه يتم الإعلاء من شأن لغة المبحوث أو الشريك في إنتاج المعرفة وهو الأساس في البحوث الكيفية والإثنوغرافية، وتقوم المقابلة بالتعمق في نقاط معينة أو التأكد من نقاط ذكرها المبحوث في يومياته.

وبعد مقابلة مبدئية لما يقرب من ٥٠ شخصا، تم اختيار ٦ مبحوثين من كثيفي التعرض للاستماع إلى القرآن الكريم من الذكور والإناث الذين يتراوح أعمارهم من ٢٨ – ٤٠ عاما، وممن لديهم خبرات مرتبطة بالاستماع للقرآن الكريم، وممن لديهم خبرة تسجيل المشاعر والأحاسيس في شكل يوميات، وبالطبع اختيار ٦ أفراد فقط للدراسة ينفي وجود التعميم من بين أهداف هذه الدراسة بقدر استهدافها توصيف خبرة الاستماع للقرآن الكريم بالعمق ولأول مرة فيما يدعي كاتب هذه السطور.

تسجيل اليوميات والمذكرات: تسجيل اليوميات هي أداة بحثية تعرف على أنها تسجيل للأنشطة والخبرات عادة كتابة بخط اليد ثم تطور ذلك بتسجيلها كتابة على أجهزة الحاسوب خلال فترة زمنية معينة، واستخدام تكليف كتابة اليوميات يقدم للبحوث الاجتماعية دخولا إلى الأنشطة والخبرات والأفكار التي لا تكون متاحة للملاحظة بالمشاركة، وهي أداة مستخدمة في البحوث التي تنطوي على قضايا

حساسة كالسلوك الجنسي وفي علم الاجتماع الطبي، والتي لا تكون متاحة أيضا في المقابلات المتعمقة.

وترتبط منهجية الدراسة وتصميمها بما يسمى بالبوح الذاتي أو Self-Disclosure وهو الأمر المرتبط بالبحوث المعتمدة على أدوات المقابلة المتعمقة وتسجيل اليوميات، والتي تصف الحياة الداخلية للنفس البشرية وهو الأمر المرتبط كما قلنا بآلية تيار الوعي الاستدعائية، وتعد الدراسات الإثنوغرافية والظاهراتية هي باب واسع للدخول إلى تضاريس هذه الحياة النفسية الداخلية المتقاطعة أشد التقاطع مع تلقي المواد الإعلامية.

وأداة تسجيل اليوميات والمذكرات لا تقدم فقط معلومات عن السلوك ولكنها تقدم تفسير الأفراد للأحداث، وهي طريقة أرخص وأكثر اختصارا للوقت من الدراسات الإثنوغرافية المعتمدة على تسجيل الملاحظات فقط، فهي تشجع على التسجيل الفوري للمعلومات الذي يساعد على (حفظ) الدقة والشمول، وأحد أهم الأشياء التي يجب التشديد عليها هي سرية البيانات حتى يطمئن المبحوثون إلى الباحث ويبدءون في البوح الذاتي، وغالبا ما يستخدم الباحث أسماء مستعارة للمبحوثين أو الأحرف الأولى لأسمائهم، وحتى أسماء مستعارة لأماكن الإقامة وأماكن تسجيل اليوميات(٣٤).

وقدم الباحث للمبحوثين أو شركاء المعرفة دليلا لليوميات والمذكرات من صفحتين، وهو إجراء مقبول ومتبع في الدراسات المعتمدة على تسجيل اليوميات لأنها تساعد المبحوثين على التركيز فقط في الظاهرة المدروسة وتقلل من التشتت، ونصحنا المبحوثين أن يسجلوا ذلك في نهاية كل يوم وأولا بأول، والدليل موجود بملاحق الدراسة.

وكان الأهم في تسجيل اليوميات والمذكرات الاقتطاف من كلام المبحوث وهو أساس البحوث الكيفية والإثنوجرافية، وقد خيرنا المبحوثين بمرونة بين المذكرات المكتوبة بخط اليد أو المحررة إلكترونيا، وجمعت هذه الأداة ما مجموعه (٦٨٥٢) كلمة من ٦ مبحوثين، طوال شهر مارس ٢٠١٦.

المقابلة المتعمقة شبه المقننة: وعادة ما يقترن تسجيل اليوميات بأداة أخرى هي المقابلة المتعمقة غير المقننة تلك التي تقدم ثروة من التفاصيل لا سيما إذا أجريت بعد قراءة اليوميات المسجلة. فهي تساعد المبحوثين على تقديم خبرات وتفسيرات إضافية لهذه الخبرات خاصة في الأبحاث التي تحاول فهم خبرة الفاعل الاجتماعي ورؤيته للعالم، وتعطي للباحث فكرة عن ماضي وحاضر المبحوثين(٣٥)، وعادة ما يفتش الباحث عن المبحوثين الذين يوفرون له نوع المعلومات التي يحتاجها وهو ما تحقق في هذه الدراسة، ولا بد أن يعرف الباحث المبحوث جيدا وأن يقرأ يومياته قبل المقابلة، وقد دامت كل مقابلة من ٤٥ إلى ٦٠ دقيقة وبلغ تفريغ المقابلات (٦٥٥٥) كلمة، وأجريت المقابلات في الفترة من ٥ – ٢٥ مايو ٢٠١٦.

نتائج الدراسة:

تتبع كاتب هذه السطور الخطوات التي وضعها الباحث الرائد في البحوث الظاهراتية كلارك إي موستاكاس Moustakas خاصة في الاقتراب الإعلائي الوصفي، والذي يشمل التأمل الذاتي القوي المركز. بدأ كاتب هذه السطور دراسته بكتابة خبرته الذاتية في الاستماع للقرآن الكريم، وتم وضع افتراضات عن خبرة الباحث نفسه، وهو ما ساعد الباحث على تأطير خبرة الآخرين في ضوء خبرته(٣٦).

ثم تم قراءة اليوميات التي تحوي الخبرات وفيها تمت مرحلة (توسيع الآفاق) بالإعلاء من شأن اقتباسات معينة من أقوال المبحوثين وكتابتهم واحتفظنا بالعبارات والاقتباسات ذات الصلة بالظاهرة المدروسة والتي أسماها موستاكاس بالآفاق، ثم جمعنا هذه العبارات في ثيمات أو أفكار متواترة معينة والتي أعانتنا على وضع توصيف نصي لخبرات المبحوثين، ثم كتبنا توصيفا لكيفية حدوث الظاهرة وهو ما يسمى بالتوصيف البنيوي أو الهيكلي ثم انتهينا إلى توصيف مركب للظواهر يأتي من دمج التوصيفين النصي

والبنيـوي.

وتمـت العمليـات السـابقة بالنسـبة لـشركاء المعرفـة السـتة الذيـن تـم اختيارهـم للدراسـة، وبفضلهـا أصبـح كاتـب هـذه السـطور قـادرا عـلى كتابـة توصيـف مركـب ومحكـم للظاهـرة بتضفـير التوصيفـات النصيـة والهيكليـة للمبحوثـين الستة كـما كتبوهـا في يومياتهـم ومذكراتهـم عـن الاسـتماع للقـرآن مـع نتائـج المقابـلات المتعمقـة لهـم، الأمـر الـذي يقبـض عـلى جوهـر الخـبرة عـلى حـد تعبـير الباحـث الرائـد موسـتاكاس.

وشركاء المعرفـة أو المبحوثـون السـتة هـم بحسـب أسـمائهم المسـتعارة: (أكـرم ٣٢ سـنة، أحمـد ٣٦، فتحـي ٤٠، منـى ٢٨، ربـاب ٣١، نادية ٣٢)، وعندمـا نقتبـس مـن كلماتهـم فإننـا نقتبـس عـين الكلـمات التـي تـم كتابتهـا في المذكـرات أو نطقهـا في المقابـلات، وقـد بـدأت خبراتهـم جميعـا بالاسـتماع للقـرآن في فـترة الطفولـة ثـم المراهقـة بمراحلهـا ثـم في فـترة الشـباب، وهـو مـا أتـاح السـؤال عـن الذكريـات التـي لا تنـسى بالنسـبة لهـم، والمرتبطـة بالاسـتماع للقـرآن الكريـم.

يغمـر الباحـث نفسـه في الدراسـة الكيفيـة لا سـيما الحساسـة مـع الاحتفـاظ بوعـي بـين الـذات والموضـوع، وهـما الشـيئان اللـذان يعرفهـما كبـار الدارسـين وأعمقهـم بأنهـما متضمنـين في بعضهـما البعـض ولا يمكـن فصلهـما عـن بعضهـما البعـض، وتتركـز فائـدة هـذا الغمـر في التأمـل النقـدي في المنهـج والعمليـة والخطـوات وهـو مجـال يتجـلى فيـه البعـد الأخلاقـي للبحـث العلمـي، عندمـا يكـون للباحـث لـه عقـل ووجـدان، أو كـما تقول الباحثـة كي آر جلـبرت: الاسـتخدام الـذكي والواعـي للمشـاعر، فالباحـث الـذي يقـول أنـه فصـل مشـاعره ١٠٠ ٪ عـن الموضـوع هـو باحـث غـير أمـين.

أولا: طقوس الاستماع إلى القرآن الكريم

تتركـز مواقيـت الاسـتماع إلى القـرآن الكريـم في فـترة الصبـاح، وبعـد العـودة مـن العمـل في فـترة العـصر أو أثنـاء العـودة مـن العمـل، وفي فـترة المسـاء الأخـير قبـل النـوم، ثـم النـوم عـلى القـرآن أو تشـغيل القـرآن للدخـول في النـوم، وتختلـف تبعـا للسـن والجنـدر أو النـوع، وتبعـا لطبيعـة العمـل.

تميـل النسـاء إلى الاسـتماع في فـترة الصبـاح أكـثر مـن المسـاء، ويصاحـب القـرآن المـرأة ربـة المنـزل أثنـاء أدائهـا للأعـمال المنزليـة وتتنقـل بـه مـن غرفـة إلى أخـرى، وفي هـذه الأثنـاء يكـون القـرآن في الخلفيـة أثنـاء أداء الأعـمال المختلفـة، ويميـل الرجـال إلى الاسـتماع إلى القـرآن في السـيارة مـع الذهـاب للعمـل أو الرجـوع منـه، وهـو في هـذه الحالـة يكـون في الخلفيـة أثنـاء القيـادة، وفي هـذا السـياق تتفـق نتائـج الدراسـة مـع نتائـج دراسـة هالـة العسـيلي.

وأحيانـا يرتبـط السـماع بعـادات قـراءة القـرآن مثـل شريكـة المعرفـة ناديـة التـي قالـت أن «فـترة اسـتماعها المسـائي تجـيء بعـد قـراءة سـورة الملـك»، ومثـل شريـك المعرفـة أكـرم الـذي قـال: «أن حفـظ القـرآن كان دافعـا للاسـتماع حيـث أجـبره والـده عـلى الاسـتماع إلى الخمسـة الكبـار مـن مشـايخ القـراء في إذاعـة القـرآن الكريـم: الحـصري والمنشـاوي ومحمـد رفعـت ومصطفـى إسـماعيل وعبـد الباسـط عبـد الصمـد».

ويرصـد المبحوثـين أن ذويهـم الأكـبر سـنا تعـودوا النـوم عـلى القـرآن والاسـتيقاظ عليـه، وأن هـذه العـادة في ارتباطهـا بتوافـر الوقـت ترتبـط بكبـار السـن: الأجـداد والآبـاء والأمهـات أكـثر مـن ارتباطهـا بهـم، وإن كان ذلـك لا ينفـي أنهـم خـبروا بعـض الأصدقـاء والزمـلاء الذيـن لا يسـتطيعون النـوم إلا بالقـرآن، وأن بعضهـم حتـى غـير منتظـم في الصـلاة.

فيـما قـررت ربـاب التـي كانـت مبتـلاة بمـرض السرطـان أنهـا بـدأت تتغلـب عـلى مشـاعر الخـوف والرعـب والحـزن المرتبطـة بالمـرض العضـال بالقـرآن خاصـة مـع رسـائل الأطبـاء غـير المبشرة، «مكنتـش بنـام غـير بـه، فأصبحـت أهـدأ نفسـا وأصبـح يهدئنـي حتـى أسـتطيع النـوم، بحـس بطمأنينـة، بحـس إن حـد معايـا وواقـف جنبـي، هـذا الصـبر ورائـه القـرآن، كنـت أخاطـب اللـه: أنـا مسـتنية مكافأتـك لقـاء صـبري عـلى المـرض، وهـذا سـبب تعلقـي بسـماع القـرآن»، وهـو الأمـر الـذي يتسـق مـع الدراسـات السـابقة التـي أثبتـت أن للقـرآن تأثـير نفـسي طبـي بالـغ الوضـوح لا سـيما في مواقـف التروما، أو الألم المزمـن المرتبـط

بمرض عضال أو صدمة.

وقد أجمع المبحوثين أن الحالات القصوى للاستماع للقرآن الكريم لا ترتبط بوقت معين إذ يحلو لهم الاستماع للقرآن في أي وقت عندما تشتد الحاجة له، وأن هذا هو الاستماع الأهم من وجهة نظرهم.

وفيما يتعلق بأماكن الاستماع، في معظم الأحيان يكون الاستماع إلى القرآن الكريم في المنزل، حيث تتوافر الفرصة أفضل للتركيز والاستمتاع بالتلاوة والتدبر في معاني القرآن، بالإضافة إلى الاستماع في السيارة خلال رحلة الذهاب إلى العمل أو العودة منه.

يقول فتحي أكبر المبحوثين سناً: «ومن بين الأوقات التي أحب الاستماع إلى القرآن الكريم فيها الفترة ما بين الساعة الخامسة بعد الفجر وحتى طلوع الشمس ثم تليها فترة قبل النوم (والفترتين في البيت) وأحب سماعه في غير البيت في الحفلات المرتبطة بالأعياد والمناسبات الإسلامية والمقارئ وسرادقات العزاء، ولا أحبذ استماعه في العمل أو وسائل المواصلات لعدم التفرغ لسماعه والانشغال بغيره، ففي المواصلات يكثر الكلام وأصوات السيارات ويحدث لك تشويش أقصد أنه لابد من الإنصات له عملًا بقوله تعالى: (فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)».

وتتقاطع النواحي الطقوسية مع الملاحظات الإثنوجرافية في هذه النقطة، إذ يؤكد المبحوثين من الرجال أن المقهى هو مكان استماع دائم إذا ارتبط الإنسان به، ففي فترة الصباح قبل الذهاب للعمل، يستمع الرجل إلى القرآن لمدة ساعة أو أكثر في المقهى عبر قنوات الستالايت أو الدش التي تبث القرآن الكريم من تليفزيون المجد.

هذا عن المواقيت داخل اليوم، أما عن تفضيل يوم معين في الأسبوع فهو الجمعة، وعن تفضيل شهر بعينه فيزيد الاستماع في شهر رمضان المبارك، حيث يستحب تمضية وقت الصيام في الاستماع إلى القرآن الكريم.

أما الوسائط الإعلامية التي بواسطتها يستمع المرء للقرآن، فقد وفر الإعلام الجديد وسائل مرنة للاستماع إلى القرآن الكريم حيث يميل المبحوثون الأصغر سنا لحمل ما يروق لهم من تسجيلات القرآن داخل هاتفهم الذكي الذي يوفر لهم سهولة الاستماع في أي وقت وفي أي مكان، وكذلك فقد ذكر مبحوثون آخرون أن الأقراص المدمجة هي وسيط أخر للاستماع، فضلا عن قنوات اليوتيوب.

وقد وفر راديو الدش أو الستالايت وسيلة استماع مرنة أخرى، إذ يتحول المبحوثين إلى إذاعة القرآن الكريم بسهولة بعد فترات مشاهدة التليفزيون، وأسفرت نتائج الدراسة عن أن الارتباط بإذاعة القرآن الكريم يزيد مع السن، إذ يفضل الأصغر سنا الذهاب إلى الملفات الصوتية المرنة وقنوات اليوتيوب أكثر من إذاعة القرآن الكريم التي يفضلها المبحوثين الأكبر سنا ثم بالطبع جيل الآباء وأخيرا جيل الأجداد إذا كان على قيد الحياة.

وتتراوح مدد الاستماع من نصف ساعة إلى ساعة لكل جلسة استماع، إلا في حالات ربات البيوت وكبار السن الذين تعودوا أن تطول مدد الاستماع لتشمل عدة ساعات، وفي حالات الألم العميق والمزمن كحالة شريكة المعرفة رباب التي شفاها الله من السرطان.

أما فيما يتعلق بأجواء الاستماع فردية أو جماعية فقد أجمع معظم المبحوثين أنه في معظم الأحيان يكونون بمفردهم خلال الاستماع للقرآن الكريم، فهذا أقرب لتوفير أجواء العزلة التي تعين على التدبر والاستمتاع بالتلاوة والترتيل، ويتطلب الاستماع الجماعي أجواء أسرية مختلفة كأن تكون المستمعة هي الابنة الوحيدة للأسرة فتتشارك الاستماع الجماعي مع الأم أو مع الأب والأم معا، الذين يرتبطون بنفس الشيخ الذي يحب المبحوث أو شريك المعرفة الاستماع للقرآن عن طريقه.

ويزداد التركيز في فترة الصباح لمن يرتبط بالقرآن فتقول نادية: «فترة الصباح تركيزي بيكون في قمته لدرجة إنني أردد الآيات قبل الشيخ عبد الباسط (وهنا تختلف تجربة الاستماع إلى القرآن لمن يحفظه عن تجربته لمن لا يحفظه)، ودرجة التركيز بتقل لو عندي حاجة إلى الراحة والنوم»،

ولكـن التركيـز يرتبـط بالحالـة النفسـية أكـثر مـن ارتباطـه بالتوقيـت.

ولا تعـدل الطقـوس الحالـة الموقفيـة بـل إن الحـالات الموقفيـة هـي التـي تخلـق الطقـوس، خاصـة في الشـدائد التـي تأخـذ فـترة طويلـة كحـالات المـرض والتـي تغـير ليـس فقـط مـن أوقـات الاسـتماع لتسـتحيل إلى معظـم أوقـات اليـوم ولكـن أيضـا تزيـد مـن التركيـز في الاسـتماع وعمـق الارتبـاط بـه كـما تكشـف عنـه هـذه الدراسـة.

ثانيا: الدوافع الموقفية للاستماع إلى القرآن الكريم

كان الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام إذا حزبـه أمـر هـرع إلى الصـلاة وتـلاوة القـرآن، وظـل القـرآن مرتبطـا منـذ ذلـك الحـين بالشـدائد والصدمـات والملـمات، وتنحـصر الشـدائد في أربعـة أنـواع: الأول مرتبـط بالفقـد كفقـد حبيـب أو قريـب غيبـه الموت وفقـدان الصحـة بالمـرض وفقـدان العمـل والمـال وفقـدان النجـاح بالفشـل في الدراسـة أو العمـل، والثـاني مرتبـط بظلـم الإنسـان لأخيـه الإنسـان، والثالـث في إحسـاس المـرء بالوحـدة والوحشـة والغربـة، والرابـع بنمـط نفـسي كالشـخصية القلقـة والشـخصية المصابـة بثنائيـة الهـوس - الاكتئـاب، وفي كل الأحـوال فـإن الأسى يرتبـط عنـد الاسـتماع للقـرآن الكريـم بالأمـل والأشـواق إلى السـعادة في الداريـن.

فيـما كانـت مواقـف الفـرح مـن أقـل المواقـف الدافعـة للاسـتماع للقـرآن وإن كانـت موجـودة لـدي بعـض النـاس، وتتعمـق لـدى مـن يسـتخدم الاسـتماع للقـرآن طلبـا للنشـوة السـمعية المرتبطـة بالطـرب.

وقـد جمـع فتحـي – أكـبر شركاء المعرفـة سـنا - الشـدائد في بوحـه الـذاتي أثنـاء كتابتـه لمذكراتـه عـن القـرآن قائـلا: «أثنـاء ولادة زوجتـي لابنتـي الأولى حبيبـة كنـت أميـل إلي اسـتماع الآيـات الكريمـات (أمَّـن يجيـب المضطـر إذا دعـاه ويكشـف السـوء ويجعلكـم خلفـاء في الأرض أإلـه مـع اللـه؟!) بصـوت الشـيخ محمـد جبريـل، وعندمـا تـوفي أحـد أقـاربي كنـت اسـتمع لقولـه تعـالى (ومـا الحيـاة الدنيـا إلا لهـو ولعـب وللـدار الآخـرة هـي الحيـوان لـو كانـوا يعلمـون)، وأثنـاء خـلاف مـع زوجتـي في بعـض الأمـور فتحـت اليوتيوب واسـتمعت لسـورة البقـرة بصوت الشـيخ أحمـد عـلي العجمـي لطـرد الشـيطان مـن البيـت، وكـذا أثنـاء إحسـاسي بالوحـدة والوحشـة في فـترة مـا قبـل زواجـي، وفي الأزمـات الاقتصاديـة وهـي لا تعـد ولا تحـصى، وكذلـك إذا اقترفـت ذنبـا وهـذه المواقـف أيضـا لا تعـد ولا تحـصى.

«وعندمـا تآمـر عـلي بعـض الزمـلاء في العمـل، كنـت دائمًا أسـمع قولـه تعـالى: (الذيـن قـال لهـم النـاس إن النـاس قـد جمعـوا لكـم فاخشـوهم فزادهـم إيمانـا وقالـوا حسـبنا اللـه ونعـم الوكيل)».

وتقـول ربـاب: «اشـتدت بي الحاجـة لسـماع القـرآن عنـد صدمتـي بإصابتـي بالسرطـان، كنـت أشـعر بالهلـع والخـوف الشـديد وكان القـرآن هـو ونيـس ومُطمْـئِن لقلبـي، زمـان كنـت بشـغّل الآيـات لأن بحـس القـرآن بيونسـني في الخلفيـة، لكـن دلوقتـي بحـس فيـه سر في الآيـات فبقيـت أركـز فيـه وبقـت فيـه حاجـات عايـزة أفهمهـا أكـثر ولـذا بـدأت أبحـث عـن سـور بعينهـا مثـل سـورة يوسـف، وآيـات بعينهـا مثـل آيـات الصـبر عـلى الابتـلاء، كنـت بسـمع طبعـا قـرآن قبـل الابتـلاء بالمـرض، لكـن بعـد مـرضي ارتبطـت بالقـرآن أكـثر، دلوقتـي لازم القـرآن يلازمنـي، مـش عايـزة أسـيبه، وتعمقـت لـدي عـادة الاسـتماع الـذي أصبـح يؤثـر فيّ أكـثر مـن القـراءة».

فيـما يقـرر أحمـد أن طـوال العـام الـذي قضـاه يعمـل في أحـد البـلاد العربيـة كان يسـمع القـرآن دائمًـا كمعـين عـلى «إذابـة جـدران الوحـدة والوحشـة والحنـين للوطـن، وهـي الوحشـة التي ازدادت – للمفارقـة – مـع توافـر وسـائل التواصـل الاجتماعـي».

ويقـدم أكـرم موقفـا يمثـل صدمـة كبـيرة في حياتـه ومـا زال عالقـا بذهنـه بعـد مـضى أكـثر مـن ٥ سـنوات عليـه قائـلا أنـه: «في سـنة رابعـة أخطـأت في يـوم امتحـان القـرآن في الأزهـر، كان الامتحـان يـوم الاثنـين وتخيلـت أنـه الثلاثـاء، فـكان موقـف صعـب نسـيت فيـه القـرآن الـلي أنـا مرتبـط بـه، فحسـيت إني بكـره نفـسي وأخرجنـي مـن ذلـك ارتباطـي بمحمـد جبريـل، أحسسـت كأن المشـكلة جـاءت مـن حبيبـي فكانـت صعبانـة عليـا نفـسي قـوي ... ودخلـت في موقـف تحـدي مـع نفـسي

حتى أتجاوز هذا الموقف الصعب الذي كلفني انتظار عام أخر حتى أتخرج، وركزت على أواخر السور اللي هي مؤثرة كما تعلم، وعندي التسجيلات فكنت أشغلها باستمرار مثل: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين).

«أحسست كأنني تلقيت طعنة في الظهر، وتعجبت إزاي القرآن اللي أنا مرتبط به ١٥ سنة واللي أنا ماهر به أنساه كده، وتركز نمط استماعي في نوعين من الآيات فالجزء اللي فيه تبشير ومعنى كويس كنت أنشرح حتى لو كانت فرحة مرتبطة بالشجن، والجزء الثاني اللي فيه آيات وصف الكافرين المخطئين كنت ألوم نفسي لما أرتكبته وأبعدني عن القرآن».

وتدفع مواقف الظلم الإنسان للفزع إلى الله فتقرر منى: «حينما مررت في مواقف ظلم وقع علي، كنت أحتاج إلي أن استمع للقرآن وأبكي وأدعو الله بالفرج، وبأن يرفع عنى الظلم، كما احتاج لذلك لكي أطمئن قلبي بأن الله العدل والحق سينصرني، كما أن الله لا يحب الظالمين، ومن هذه المواقف عندما مررت بظلم في علاقة عاطفية، لذا توجهت إلى الاستماع بكثرة واقترن ذلك بقراءة القرآن الكريم».

وتنفرد منى وسط شركاء المعرفة بالقول: «أوقات الفرح خاصة أحب الاستماع إلى القرآن الكريم حتى أشكر الله كثيراً طوال الوقت، أما في الحزن أجدني أفضل البقاء وحدي, وأحب أن أتوجه إلي الاستماع للقرآن الكريم غالباً في حالة الفرح أكثر من الحزن».

وتعتبر شخصية نادية القلقة أحد الدوافع الأساسية للارتباط بالقرآن: «ماما مسمياني نادية قلق وجايبة العصبية والنرفزة دي من بابا ... برتبط بالقرآن لمّا أكون مظلومة، أو عندما يكون هناك مشكلة بيني وبين واحدة من زميلاتي أو صديقاتي تغيرت أو بعدت فجأة أو أسمع كلام مش كويس اتقال عني، فإما أروح أواجهها أو أسيب الأمر لربنا، وفي النهاية بتكون عارفة إني مظلومة أو ماغلطش فيها، يعني في المواقف اللي بحس فيها بظلم الآخرين أو أهانتهم ليا أو لما أحس باكتئاب أو إن حياتي فيها ملل وماشية على وتيرة واحدة، زي فترة البحث عن عمل .. كان مافيش شغل خالص .. أصحى م النوم أساعد والدتي .. فكنت أقعد أسمع القرآن وأعيط وأقول يا رب أرزقني بشغل .. أنا حساسة ومتدفقة المشاعر ومن أقل حاجة بعيط .. لكن باحاول أتغير وأبقى جامدة شوية لأني بالطريقة دي هعيط كل يوم .. لأني متربية تربية معينة على الاحترام والالتزام .. والمجتمع للأسف مش كده .. وكل مانزل الشارع وأشوف حاجات كئيبة حواليا .. بأتساءل ليه أنا عايشه في المجتمع ده؟!».

أما عبارة نادية: «معظم صحباتي ارتبطوا وأنا ما زلت غير مرتبطة ولكني لا ألجأ للقرآن في حاجة زي دي»، فيرى الباحث أن هذه العبارة تعد مثالا على ضرورة الاقتراب النقدي من إجابات المبحوث أو شريك المعرفة تبعا لتقدير الباحث لشخصيته التي تنم عليها إجابات أخرى فشريكة المعرفة تلجأ للقرآن إذا تأخر عمل، فكيف بالله لا تسأل الله أن يرزقها بزوج طيب .. !

وفي السياق المصري، يضغط التفاوت الاقتصادي وصعوبات المعيشة بما يتمخض عنهما من تمزق للعلاقات والروابط الاجتماعية على الأعصاب التي ترتاح لسماع القرآن.

ثالثا: تيار الوعي والأفكار المصاحبة للاستماع

للاستماع إلى القرآن مدى زمني للتركيز يختلف من إنسان لأخر، وطبيعي أن يصاحب الاستماع إلى القرآن الكريم تيارا للوعي يحمل منولوجا داخليا يختلف باختلاف الجنس والسن والمستوى الاجتماعي الاقتصادي والتعليمي والثقافي والحالة النفسية والجسدية للمستمع، ويختلف لدى المستمع الواحد في مراحل مختلفة من عمره، ويسمى مفهوم تيار الوعي في بعض الدراسات ب(مجرى الشعور).

ومصطلح (تيار الوعي) تم استخدامه أولاً في علم النفس ثم انتقل إلى الأدب كمصطلح أسلوبي يعني تدفق الأفكار وتداعيها من ذهن الشخصية، ويشمل: «توارد الخواطر والأفكار داخل الذهن بغض النظر عما تبوح به الشخصية، أي أنَّه يعنى بالبني السطحية والبني العميقة للذهن، وهي المراكز التي يتزود منها التيار بالأفكار والصور

والتخيـلات»(٣٧).

وتمثـل كتابـات تيـار الوعـي أداة أدبيـة تسـعى لتصويـر وجهـة نظـر فرديـة مـن خـلال إعطـاء المعـادل المكتـوب لعمليـات الفكـر الخاصـة بالشـخصية، سـواء في مناجـاة داخليـة أو مونولـوج داخـلي طلـق، أو في الاتصـال بـردود فعـل حسـية للحـوادث الخارجيـة، وترتبـط كتابـات تيـار الوعـي ارتباطًـا وثيقًـا بالفلسـفة الظاهراتيـة (الإطـار النظـري لهـذه الدراسـة)، ويعـزى تقديمهـا في السـياق الأدبي، ونقلهـا مـن علـم النفـس، إلى البريطانيـة مـاي سـينكلير التـي تناولـت روايـات دورثي ريتشاردسـون، وهـي الأداة التـي ارتبطـت أيضـا بالروائيـة البريطانيـة فريجينيـا وولـف.

يطلـق مصطلـح تيـار الوعـي أو تداعـي الذاكـرة في النقـد الأدبي عـلى التقنيـة الأدبيـة التـي تسـعى لإظهـار وجهـة نظـر الشـخص مـن خـلال صياغـة تسلسـل الأفـكار بصيغـة كتابيـة، وهـذه الأفـكار إمـا أن تكـون محادثـة داخليـة غـير مترابطـة، أو تكـون متعلقـة بأفعـال وتصرفـات الشـخص, ويفـوق في أهميتـه تيـار الـسرد النظامـي للعـالم الخارجـي ومـا فيـه والـذي كان يطبـع الأسـلوب التقليـدي، وعـادة مـا يجمـع الأفـكار رغـم عـدم ترابطهـا أحيانـا وحـدة نفسـية واحـدة(٣٨).

أمـا بالنسـبة للـشرود أو الأفـكار التـي تنتـاب المسـتمعين للقـرآن أثنـاء الاسـتماع، فـإن نتائـج كتابـة اليوميـات والمذكـرات ثـم المقابـلات المتعمقـة تقـدم لنـا كنـزا حقيقيـا مـن الخـبرات الإنسـانية التـي تـأتي أثنـاء التفاعـل مـع النـص القـرآني, فمثـلاً:

يقـدم أكـرم طيفـا واسـعا مـن الأفـكار تبـدأ «بالتفكـير في معـاني الآيـات التـي تُتـلى ولمـاذا جـاءت عـلي هـذا النسـق ومحاولـة الوصـول إلي مـراد اللـه عـز وجـل مـن هـذه الآيـات عـبر تدبـر معانيهـا.

«وأحيانـا يـشرد القلـب إلى تمنـي أن يكـون الواقـع مماثـلا للترنيمـة العذبـة التـي قـرأ بهـا الشـيخ إحـدى الآيـات وفي هكـذا حالـة أكـون منعـزلاً تمامـاً عـن الواقـع حـولي وكأنمـا هـي لحظـة توقـف الزمـان عندهـا، وأحيانـا تأخـذني معـاني الآيـات إلي التفكـير بموقـف في حيـاتي أو مشـكلة تعرضـت لهـا ثـم سرعـان يعـود بي معنـى أخـر إلي تلـك اللحظـة التـي أتمنـي لـو يتوقـف الزمـان عندهـا.

«وأحيانـا يقتحـم لحظـة التركيـز في الاسـتماع تفكـير في الدراسـة أو العمـل كمشـكلة في أحدهـما أو حـل أو فكـرة جديـدة يمكـن أن تكـون إبداعيـة في شيء مـا مثـل كتابـة خاطـرة أو ممارسـة موهبتـي في رسـم الخـط العـربي, وهنـا أهـرع إلي تنفيـذ مـا جـال بخاطـري معتـبراً أنـه مبـاركاً ببركـة القـرآن أي ببركـة اللحظـة التـي كنـت أسـتمع فيهـا».

وهـو مـا يؤكـده فتحـي قائـلا: «دائمًـا مـا تنتابـك أفـكار شرود أثنـاء الاسـتماع للقـرآن متعلقـة بالأحـداث التـي تعيشـها في حياتـك فمثـلًا: مهنـدس يسـتمع للقـرآن يحـدث لديـه شرود في الرسـم الهنـدسي أو تنفيـذ بعـض بنـود أعـمال الإنشـاءات وقـد يبتكـر فيهـا أثنـاء الاسـتماع، مـدرس ينتابـه شرود أثنـاء الاسـتماع بسـبب التفكـير في أجـزاء معينـة مـن الـدرس وكيفيـة شرحهـا بطريقـة أفضـل، وهكـذا».

فيـما أضـاف مقدمـا الأسـباب وراء تقلـب التركيـز بقولـه: «يكـون التركيـز عـالي في حالـة الاسـتماع إلى شـيخ محبـب إلى القلـب حتـى وأنـت تقـوم بأشـياء أخـرى بينـما يكـون التركيـز منخفـض أو ضعيـف عنـد الاسـتماع لشـيخ لا تحـب الاسـتماع إليـه أو عنـد كـثرة الانشـغالات وأهميتهـا حتـى عنـد الاسـتماع لشـيخ محبـوب لديـك ومـن ثـم يـأتي الـشرود.

«فالمـدى الزمنـي للتركيـز أثنـاء الاسـتماع مرتبـط بصفـاء الذهـن وزيـادة الحالـة الإيمانيـة في القلـب لأن الإيمـان يزيـد وينقـص، ووفـرة الظـروف الحياتيـة الملائمـة للتركيـز وإذا توفـر كل ذلـك بنجـاح يـزداد المعـدل الزمنـي للتركيـز أثنـاء الاسـتماع والعكـس صحيـح تمامًـا».

ويـزداد الـشرود في الأشـياء المتعلقـة بالقـرآن كلـما زادت درايـة المسـتمع بـه وبمعانيـه وأحـكام تلاوتـه، والمهـارات المتعلقـة بهـذه التـلاوة، وهـو أمـر ذكـره كل مـن أكـرم وفتحـي الأزهريـان، ويـزداد الـشرود في همـوم الحيـاة كلـما كانـت الدرايـة بهـذه الأحـكام قليلـة، وهـذه هـي حالـة أحمـد الصحفـي والـروائي ذي الثقافـة الحداثيـة:

ولـذا يقـرر أنـه: «في البدايـة يكـون فيـه تركيـز ويحصـل شرود

ويعود الإنسان مرة أخرى وأحيانا أفكر في معنى الآيات ثم أصل إلى معاني جديدة أطرحها على نفسي، ده كتير جدا، أخر حاجة كنت بفكر فيها هي مسألة شغلي، كنت حاسس إني منغمس أكثر من اللازم في شغلي، ففكرت إني محتاج لحظات راحة، ومتسع من الوقت للأنشطة الأخرى التي كنت أقوم بها في الماضي في شكل قراءة وكتابة، في شكل بقاء مع الأسرة فترة أكبر، حسيت إني منغمس في دوامة العمل والبحث عن مصادر رزق أخرى، فقلت أنا ليه بعمل في نفسي كده، أنا محتاج إني مجريش ورا تيار العمل الجارف ده، وأخذتني هذه الأفكار كثيرا من الاستماع».

وهناك عامل أخر يرتبط بالتلقي، وهو ما يسمى المزاج النفسي المثالي للتأثير وهي ظاهرة أشبه بآلية Fine-tuning لموجات الراديو، وفيها يحدث أعلى تأثير من نفس المادة المسموعة للنفس البشرية في وقت بعينه نتيجة الحالة المزاجية الخاصة التي تعتري النفس، وهي ظاهرة يتشابه فيها الاستماع إلى القرآن الكريم مع الاستماع للمواد الموسيقية والغنائية.

وطبيعي أن ينغمس المستمع المبتلى (حالات التروما Trauma أو الألم العميق المزمن) في ذاته بحيث تنعكس الآيات المتعلقة بالصبر والرحمة والإيمان على أفكاره فتقدم له معنى لهذا الألم وتفسيره فتقرر رباب: «أنا بسرح في آيات القرآن وتفسيره لدرجة أشعر أنه يخاطبني وبالطبع يرتبط ذلك بالتأثر والبكاء، وهو ما جعلني أدرك معاني أخرى في القرآن، خاصة الأجر الذي يدخره الله للصابرين والمبتلين، بحس بتفاعل بين حالتي ومعاني القرآن لأن ربنا حاسس بيا، (مفهوم الأنس بالقرآن)، يعني لو كنت يتيم، مبتلى، مصاب، لو مهموم هتطلع مبسوط في أي حالة أنت فيها، لو زعلان هتطلع مرضي، لو مبسوط هتبقى عايز تزود، لو مقصر فيه رحمة ومغفرة، وهذا جزء من سر القرآن».

وأفكار الشرود هي المنتجة للمعنى الإنساني (هدف البحث الظاهراتي) كما تقرر منى: «يأخذني الاستماع إلي القرآن إلي إيجاد المعنى في آيات العظة والعبرة والقصص القرآنية، كما أوقن أن الله ناصر المؤمنين به عز وجل وحده، وبيكون ده في مواقف الظلم أكثر، بيحسسني بالأمان لأن كذا آية بتقولي أن الله يحكم بالعدل، وفي حالات الإحساس بالذنب، في حاجة قررت إني معملهاش، فبستمع للقرآن لأني عايزة أدخل في حالات البكاء والخشية»، وهو ما يؤكد أن الاستماع للقرآن قد يكون هدفه استدرار الدموع سعيا وراء التطهير بالمعنيين الديني والأرسطي على حد سواء.

وقرر كل المبحوثين أن البكاء أو دموع القرآن هو شيء يخبرونه أثناء الاستماع إلى القرآن الكريم في حالات بعينها، وتتراوح الدوافع له ما بين الخشية من الله، والأمل في تجاوز حالة الصدمة أو الألم:

يقول فتحي: «البكاء جزء لا يتجزأ من استجابتي للاستماع للقرآن الكريم خاصة البكاء من خشية الله والذي له فضل عظيم حيث قال نبينا صلي الله عليه وسلم (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) وقال يزيد بن ميسرة رحمه الله: (البكاء من سبعة أشياء: البكاء من الفرح والحزن والفزع والرياء والوجع والشكر وبكاء من خشية الله تعالي فذلك تطفئ الدمعة منها أمثال البحور من النار)، وبصراحة وبمنتهى الوضوح والشفافية أحب الاستماع للقرآن الكريم عندما أفعل معصية وحينها أبكي وأندم وأصلي ركعتين وأدعو الله أن يغفر لي وأقرأ القرآن واستمع إليه من بعض التسجيلات».

فيما يذهب أحمد أنه: «رغم كل هذا الشقاء والعبث في الدنيا قد يكون هناك أمل في رحمة الله والآخرة، فبكائي ليس تماما من خشية الله بقدر ما هو أمل فيه وأمل أن يسامحني ويغفر لي»، فيما تقرر رباب أنها «في تجربة المرض كنت أحس أن الله يسمعني وعند دعائي أشعر بقشعريرة غريبة في جسدي وأبكي حتى منَّ الله علي بالشفاء رغم توقع الأطباء عكس ذلك».

وأحيانا يرتبط تيار الوعي ببعض الأفكار الإعجازية عندما يزيد الألم أو الشعور بالظلم مثل فتحي الذي يقول: «عندما تآمر علي زملائي كنت مع سماعي قوله تعالى: (فلم جاء

أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) أتمنى أن ينصفني الله وينتقم من الظالمين وأتخيل ذلك قريبا»، وهو ما تقرره منى التي تلقت صدمة عاطفية دفعتها إلى الاستماع للقرآن.

وفيما يتعلق بالحالة المزاجية قبل الاستماع وأثنائه وبعده فتضيف منى: «أشعر بالشوق الشديد إلى الاستماع للقرآن الكريم، والتوتر أحيانًا، ثم أثناء الاستماع أشعر بالراحة والسكينة والهدوء، كما أبكى أثناء السماع، خاصة من الأدعية النبوية المذكورة في القرآن الكريم، وبعد الاستماع أظل في حالة السكينة والراحة».

فيما ترى رباب ربة المنزل التي عانت من المرض: «أشعر بالهدوء وصفاء الذهن، وأشعر بطول البال وتوتر أقل وعصبية أقل في التعامل مع أفراد البيت، وأقوم بمجهود مضاعف غير شاعرة بالتعب في الأعمال المنزلية عندما أسمع القرآن».

أما أحمد الصحفي الروائي فلمزاجه استجابة أخرى، يقول: «تسيطر عليّ عند الاستماع إلى القرآن حالة من التأمل، فاستحضار أن هذا القرآن كلام الله لأهل الأرض، يثير بداخلي الرغبة في التأمل، وأشعر في كثير من الأحيان أن الآية الواحدة ربما لها أكثر من مستوى للفهم والتفسير، وان الوصول إلى فهم عميق لمعنى الآية يستدعي بالضرورة إنصاتا عميقا للقرآن».

ويأتي الطرب أو تحسين الحالة المزاجية عن طريق النشوة التي يحققها التسلطن بالقرآن كاستجابة واردة للاستماع إلى القرآن الكريم، وقد خبر الباحث تلك الاستجابة كثيرا عندما تابع منتديات القرآن على شبكة الإنترنت لا سيما المرتبطة بكبار القراء المصريين، وتزيد هذه الظاهرة مع المستمعين ذوي الأصول الريفية.

وهو ما أكدته دراستنا هذه فيقول فتحي ذو الأصل الريفي: «في بعض الأحيان الاستماع للقرآن يكون عندي بديلاً للأغاني لأنه يحسسك بالراحة النفسية ويزيد من الحالة الإيمانية لديك ويحلك بالقرب من الله ويعينك على طاعته بخلاف الأغاني التي تحسسك بعكس ذلك بتأنيب الضمير أحياناً»، فيما قد يكون الارتباط بشيخ معين سببا للشرود المرتبط بتحسين الحالة المزاجية إذ قرر أكرم الذي قضى طفولته في الريف: «في الراديو مرات أسمع واحد من الخمسة الكبار كالمنشاوي أو الحصري، خاصة السور التي تحركني مثل سورة الأنعام أو سورة المائدة (الولاء والبراء)، فأتذكر أداء الشيخ محمد جبريل في تسجيل معين لصلاة التراويح، وأروح أسمع نفس الآيات لأشعر بالمعاني مع الأداء الرائع للشيخ الذي أعشقه».

وفي الوقت الذي قرر فيه معظم المبحوثين أن القرآن يحسن الحالة المزاجية في كل الأحوال، قررت منى: «أنه أحيانا عندما أعاني من الاكتئاب والرغبة في الوحدة, استمع إلي القرآن ولا أشعر بالتحسن فيصبيني الضيق أكثر, ولا أدري هل أنا السبب أم أنها الحالة السيئة التي أنا فيها تسيطر علي, والبديل الذي أذهب إليه هو البقاء وحدي دون سماع أي شيء فقط أحدث نفسي كثيراً، فيما ذهب أحمد مجيبا على سؤال لماذا ألجأ للاستماع إلى إذاعة القرآن الكريم في السيارة؟ «لأني أحيانا بحس إني محتاج أسمع شيء غير الأغاني بعد يوم عمل مجهد، محتاج أفصل، وفي يوم تاني بحس إني مش متواصل مع القرآن فاسمع الموسيقى الكلاسيكية أو أغنيات قديمة وبخاصة لفيروز، في أغلب لحظات الإرهاق والتعب، أشعر بعدم القدرة على التواصل مع الآيات».

رابعا: الجوانب الإعجازية والتبركية في القرآن وتقاطعها مع نتائج البحوث الإثنوجرافية

يؤمن معظم مبحوثي الدراسة بأن الاستماع إلى القرآن يرتبط بطرد الشياطين، وجلب الرزق، وإحلال البركة والسكينة في المنزل، الأمر الذي يثبت ما ذهبت إليه الدراسات الإثنوجرافية ودراسات الثقافة الشعبية من أن معظم المسلمين يؤمنون أن للقرآن جانبا طقوسيا إعجازيا في ذاته وليس في تفاعل البشر معه، إذ تقرر منى أن نسخة

من القرآن تضعها تحت وسادتها باستمرار رغم انتقاد بعض زميلاتها اللائي يزرنها لذلك.

ويمتاز عنهم أحمد الذي يعمل صحفيا وتميل ثقافته إلى أن تكون ثقافة عقلانية مدنية غير دينية، ورغم أن التصنيفات الجامدة لا يميل إليها الباحث، فإن هناك فارقا كبيرا بين أحمد وبين فتحي الأزهري الذي يؤم المصلين الدارس لأحكام ترتيل القرآن وتجويده.

وعليه فإن فتحي يرى أن: «تلاوة القرآن والاستماع إليه لهما ثواب عظيم وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان يفرق من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) وقد قال صلى الله عليه وسلم في فضل هذه السورة (من قرأها ليلاً لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قرأها نهاراً لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام).

«كما أن هناك خلق لله تعالى يسمعون القرآن من الملائكة الكتبة والحفظة والطوّافين ومن صالحي الجنة وغيرهم، وهذا خير من عدمه ولا يضر الانشغال بالعمل أو المذاكرة لأنه لا يقصد به الإعراض عن القرآن، كما أنه لا بأس من تشغيل القرآن في البيت بعد الانصراف فقراءة القرآن تحل البركة بالبيت والسكينة به وتجلب الرزق وتطرد الشيطان (لاحظ تناقض هذه الإجابة مع إجابة فتحي بعدم تفضيله الاستماع للقرآن في وسائل المواصلات العامة، ورصد التناقض هذا لا توفره إلا البحوث الكيفية)، ولا أعلم آية معينة في القرآن تقرر أن الاستماع له يجلب الرزق ولكن هناك من الآيات ما يدل علي أن الاستغفار سبب من أسباب الرزق لقوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً و يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً)».

ويعضد كلماته أكرم الذي يقول: «بالطبع أؤمن أن القرآن يطرد الشياطين من البيت ويجلب الرزق ببركته ولأنه كلام الله, فليس هناك أفضل من ذلك يتبرك به الإنسان بعد السعي, إلى جانب أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد نوه في أحاديث إلى بركة القرآن واستماعه وتلاوته في البيت وفي الحديث: (أن البيت الذي لا يقرأ فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب) ورسول الله لا ينطق عن الهوى ولذا فأنا أؤمن به وأصدقه وبالطبع فالقرآن يجلب البركة ويطرد الشر والشياطين ولكن ذلك لا يعني التواكل عليه أو أنه يمنع قدر الله ففي بعض الأحيان يُقرأ أو يُستمع للقرآن آناء الليل وأطراف النهار ولكن الله يبتلي العبد في حبيب له كي يرى صبره وثباته بالرغم من قربه من القرآن, لذا لابد أن تؤمن ببركته وبقدر الله عز وجل كذلك».

فيما أفادت نادية – الشخصية القلقة – أنها خبرت للقرآن جانبا يمنع تأثير الحسد خاصة وأنها البنت الوحيدة في أسرة ميسورة الحال وأنها «من النوع الصريح اللي بتكلم عن أحوالي ومش بداري لكن بدأت ألاحظ وجود الحسد في أشياء صغيرة زي إن شنطتي تتقطع أو يحصل حاجة في لبسي والحسد مذكور في القرآن فبقيت افتح القرآن واشغله بعد رجوعي للبيت، وابتدت ماما تقول لي: خفي شوية، ما تتكلميش عن كل حاجة في حياتك أو حياتنا، فابتديت آخد بالي من الشخص اللي بحكي قدامه، وبقيت أحاول أطور من موضوع الكتمان ده عندي، مش كل واحد أقول له إن اشترينا عربية جديدة، ماكنش عندي كتمان خالص ومحبش أكدب».

غير أن أحمد يقرر بوضوح: «حقيقة أجد نفسي مرتبكا كثيرا حول هذه القضية بالتحديد، ففي الأساس أعتقد أن القرآن كتاب سماوي غاياته أسمى كثيرا من مسألة التبرك أو جلب الرزق، فهو كتاب يحمل آيات كونية وأحكام حياتية وقصص غاية في الإحكام للتدبر والتأمل من أجل فهم أفضل لحقيقة الإنسان وعلاقته بالكون وبالماضي والحاضر والمستقبل، وحتى بالعالم الآخر.

«كما استشعر في بعض الأحيان أن القرآن يحمل فلسفة عميقة للحياة والموت والقدر والإنسان الذي يصنع مصيره في مواجهة الحياة، وإزاء هذه المعاني الكبيرة والغايات البعيدة للقرآن كما استشعرها تتضاءل في رأيي فكرة التبرك

واستجلاب الرزق أو طرد الشياطين، لكن في المقابل أجد نفسي أمام مجموعة كبيرة من الأحاديث التي تشير إلى وجود تلك الأمور وإمكانية الاستفادة من تلاوة القرآن في البيت في تحقيقها، فأقنع نفسي بأن أسرار القرآن أكبر من أن يحيط بها عقل أو يحتويها فهم، وربما كانت هذه هي المعجزة الحقيقية في القرآن الكريم، أن يجد كل شخص فيه ضالته، فمن يبحث عن العبرة يجدها، ومن يبحث عن الأحكام يجدها، وكذلك من يبحث عن السكينة أو التبرك أو التأمل في القصص القرآني، وغير ذلك».

وينتقد أحمد عدم تحول الطقوس الدينية إلى سلوك بقوله: «عندنا الدين ممارسة للشعائر وليس ممارسة للسلوك، المقاهي والورش والمحلات بتشغل قرآن وبصوت عال جدا، ومع ذلك تلاقي الناس بتلعب طاولة وتسب الدين، سواق الميكروباص بيشغل القرآن ولكنه بيقول ألفاظ لا تتناسب مع اللي مشغله، وساعات بعد وصلة شتيمة يقوم موطي الكاسيت اللي بيشغل أغاني هابطة علشان الآذان، فأتعجب (هل هذا ما ينزع تأثير هذا النص المقدس العظيم؟!).

«حولنا القرآن لشيء أشبه بالفلكلور، لنص شعبي له مسحة قدسية، وهناك مثال أتذكره وهو موقف نزع الملكية من سلم مسجد دخل في خط التنظيم في الحي بتاعي، فحصلت انتفاضة وسقط ضحايا ربما عمرهم ما دخلوا المسجد ده أو أي مسجد أخر، والإنسان ده اللي بيسب الدين ده ممكن يقتل واحد لو شتم القرآن، الدين والممارسة الدينية عندنا هي ممارسة طقوسية، وليست منعكسة في التعامل والسلوك ولهذا يتم استغلال الدين تجاريا، مثل الذي يردد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) فقط كشقشقة لفظية يتبرك بها ولكن غير حاضره في السلوك والعمل.

«والسبب في ذلك: تشيؤ الدين، أو وثنية الدين، التبرك بالمصاحف والأحجبة وزيارة الأضرحة والأولياء، وده نتيجة استخدام الدين استمرارا من العبادات القديمة، مثل العادة الطقوسية الفرعونية التي نضفي عليها طابعا إسلاميا، ويظهر ذلك في الموالد والتكايا وممارستها، هناك خيط رفيع ممتد من فجر البشرية وحتى الآن.

«خذ مثلا فكرة التثليث، نفس المسار الفكري بصبغات وألوان مختلفة، التثليث في العقيدة الفرعونية (آمون وموت وخنسو)، (إيزيس وأوزوريس وحورس)، وفي المسيحية (الأب والابن والروح القدس)، وفي الإسلام الشيعي في مصر (علي وفاطمة والحسين)، والتقدير الجارف لآل البيت، هو نوع من تقريب الدين الجديد للوعي الشعبي، بنفس التأثير وبنفس الزخم في تيار وعي (أو لاوعي) جماعي أو مجتمعي».

وكلمات أحمد تتسق مع دراسات الدين الاجتماعية المحدثة خاصة دراسة بريجيت مايرـ التي قررت أن تغلغل النص القرآني وحضوره في حياة المسلمين ينعكس في إنتاج عدد من السلع تحيط بحياة المسلم، وهذه السلعة ليست فقط علما على الهوية ولكنها أيضا جالبة للراحة والآمان النفسي، أي معبرة عن القوة الروحية للقرآن(٣٩).

خامسا: تفضيلات المستمعين لأصوات قراء القرآن وأسبابها

يرتبط اثنان من مبحوثي الدراسة بصوت الشيخ محمد جبريل واثنان آخران بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد رحمه الله وواحدة بصوت مشاري راشد العفاسي وأخرى بصوت الشيخ محمد العجمي.

ويلعب مكان التنشئة الاجتماعية للمبحوث وسنه وثقافته دورا في تفضيل قارئ بعينه، ويصل الارتباط بقارئ معين لدرجة كبيرة بحيث يمثل القارئ صوت القرآن بالنسبة لمستمع معين، أو بتعبير أخر يصبح المستمع أسيرا لجمال صوت القارئ وطريقته في التلاوة أو التجويد، وقد يحتفظ المستمع بمكانة قارئه المفضل الأولى إلى جانب أصوات أخرى يستمع منها إلى القرآن الكريم ويستحسنه منهم.

وتشبه العلاقة بين قارئ القرآن والمستمع له - في بعض جوانبها - العلاقة بين الفنان والمعجب به Fandom، فيجمع المستمع معظم تسجيلات القارئ المحبوب ويعيد الاستماع إليها مرة بعد أخرى، وتجذبه كل مادة إعلامية تتحدث

عن هذا الشيخ وحياته، وهو أمر تتحدث به كل الكتابات الكثيرة عن سير مشاهير القراء، وفي تاريخ الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بالذات دلائل على ذلك لدرجة تسميته في عقد الخمسينيات من القرن الماضي ب(عبد الباسط براندو) محاكاة لاسم نجم هوليوود آنذاك مارلون براندو، ولدرجة تلقيه عروضا للزواج من عدد من المعجبات به في العالم العربي خاصة في سوريا(٤٠).

وقد يرتبط مستمع ما بقارئ معين منذ الصغر ويظل هذا الارتباط معه في مراحل شبابه، وقد يعجب بقارئ معين مع بداية الشباب، وقد يكتشف قارئا أخر في فترة الكهولة ويرتبط به، وتلعب الأسرة دورا مهما في تفضيل قارئ معين يرتبط به الأبوان فينتقل هذه الارتباط إلى المستمع أو تلعب دورا معاكسا في فرض قراء بعينهم على الابن أو الابنة لا سيما إذا كان الأمر يصاحبه واجب لحفظ القرآن، ومن ثم يتمرد الابن عليهم ويعجب بقارئه الذي يكتشفه في صدر شبابه بعيدا عن الأسرة وتأثيرها خاصة إذا انتقل الابن من الريف إلى العاصمة.

وقد يأخذ الارتباط بصوت معين شكل الرحلة حتى يتم العثور عليه وقد يأخذ شكل المفاجأة أو الصدفة الجميلة أو القدر الجميل، يصف أكرم الرحلة بقوله: «ذهبت إلي مسجد عمرو بن العاص في رمضان وُأُذن لصلاة العشاء وبدأ الإمام يتلو القرآن، ولحظتها تمنيت لو أستطيع الخروج من الصلاة من شدة الفرح وأصيح (لقد وجدت ما أبحث عنه)، وجدت ضالتي وحققت أمنيتي، وجدت الصوت العذب المولود من رحم الشجن والمفعم بالحيوية والقوة والذي ملك علي قلبي وسرى في روحي بمجرد أن سمعته، وجدت القارئ الذي يستطيع في سورة واحدة أن يغير أداؤه مرات ومرات، ويستطيع التنقل بين المقامات ويتلاعب بها فيطرب القلب ويروِ الروح بعد ظمأ سنين كانت عجافا من كثرة ما صدمت بمن سمعت.

«إنه الشيخ محمد جبريل، ذلك الرجل الذي حاز المرتبة الأولي في المسابقة العالمية للقرآن الكريم بماليزيا، والذي تخرج في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، وكان يومها يقرأ سورة «هود»، وكانت أول مرة أبكي فيها متأثرا بصوت أحد يقرأ القرآن، وهي أول مرة أعشق استماعه، وتولد الآيات في قلبي بمعانيها من جديد وكأن كل آية تُقرأ علي لأول مرة، وهي أول مرة أنفصل عن الواقع حولي وأحلّق مع الصوت الذي أستمع إليه في سماء الآيات وبديع نظمها وجلال نسقها ومعانيها، وكانت أيضا أول مرة أخشع في صلاتي تماما وكأني بالفعل في حوار بيني وبين ربي من خلال آياته التي ينطق بها ذلك الصوت الملائكي، والذي شعرت وكأن صوته يومها ينزل من السماء وليس منبعثا من مكبرات الصوت حولي بالمسجد.

«خرجت من المسجد يومها وقلبي أسير تماما لصوت هذا الشيخ، وبدأت أسأل من هو؟، وما طريقته التي يقرأ بها هكذا؟، أريد أن أعرف عنه كل شيء ولماذا هو مختلف عن كل الذين استمعت إليهم من قبل، وظللت علي حالتي هذه حتى عرفت عنه كل شيء، ومن شدة فرحتي باليوم وما جمعت فيه من معلومات عن الشيخ قلت لصديقي ما معناه أنه لو لم يكن له من فضل علي سوي معرفتي بهذا القارئ لكفاه فضلا علي له طول حياتي.

«بعد هذه الليلة بدأت مرحلة جديدة مع كتاب الله يمكن أن أسميها مرحلة الطقوس والتي بدأت من يومها وإلي الآن، حيث باتت لي طقوس مع كتاب الله ، فلم يعد ذلك الكتاب الذي أقرأه عن حفظ لكوني أتقرب به إلي الله حيث أنني مسلم فقط، ولكنه بات الكتاب الذي أجد حال استماعي لآياته تتلي بصوت «جبريل» كل المشاعر التي تطرب الفؤاد وتسعد النفس وتحلق بالروح في جو السماء.

«بدأت أستمع لكل تلاوات الشيخ في كل مرة يحضر فيها لصلاة التراويح في رمضان من كل عام، وبدا لي هنا أن الرجل يقرأ القرآن في التراويح بطريقة في الأداء تختلف تماما عن قراءته له في الأشرطة المسجلة والتي يقرأ فيها بذات الطريقة التي اعتدتها من عموم القراء المصريين وغيرهم، وهذا هو شأن صاحب كل فن، بمعني أن وجوده بين جموع الجماهير

يعطيه الفرصة لأن يستلهم منهم الإحساس وتنجلي موهبته في كامل جمالها وروعتها.

«ثم قمت بتجميع كل مواده الصوتية تقريبا ووضعتها في ذاكرة هاتفي، وتلك هي وسيلتي التي من خلالها أستمع والتي تمكنني من الاستماع في أي وقت أشاء، فاحتياجي لسماع القرآن بات يأتيني كخاطر يداهمني بأي وقت وبأي مكان وبالمدة التي أرغب علي حسب احتياجي أو انتقائي، فمثلا أعشق مرات الاستماع إلي أواخر السور كأن أحتاج لاستماع آخر سورة الزخرف عندما يبدأ الشيخ بتلاوة قوله تعالي» الأخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدو إلا المتقين» يقرأها ويعيدها ثلاث مرات، وكأنه في الأولي ينادي علي فآتيه، ويهمس لي بالآية في أذني بالثانية، وفي الثالثة ومع ارتفاع أكثر في مستوي الصوت كأنه يؤكدها فأنتبه، ثم يعقبها بتلاوة الآية بعدها (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) بصوت ملئ بالشجن وكأنه يشرح الآيات ليعطي معني للمؤمن أن لا يخاف من عقاب ربه للأخلاء غير المؤمنين، فالمتقون لا خوف عليهم من هول هذا اليوم فليسوا في عداد من يعادي بعضهم بعضا».

فيما يقرر فتحي أنه رغم حبه لأصوات المنشاوي والحصري ومصطفى إسماعيل والشحات أنور وأحمد نعينع والعفاسي والعجمي والسيد متولي إلا أن قارئه المفضل هو محمد جبريل نظرا «لجمال الصوت وخشوعه وتنوعه في القراءة بين المقامات الموسيقية المختلفة وجمال مخارج الألفاظ وتطبيق الأحكام التجويدية بمنتهى السلاسة والفصاحة ودون تكلف، وكذلك فإن جزءا كبيرا من حبي لجبريل يرجع لشجنه وتحزنه لأنه يحسسك بالقرب من الله والبعد عن المعاصي وحب الطاعة».

ويرى أحمد أنه رغم حبه لأصوات الشيوخ: محمد رفعت ومصطفى إسماعيل ومشاري راشد إلا أنه يرتبط بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بسبب «حب والدي لصوته، واستماعه المتكرر له، فنشأت على صوته في بيتنا منذ الصغر، كما أجد في صوته ليونة محببة، وصوته المليء بالشجن بيكون أقرب إلى مناخ التأمل والهدوء الذي أراه مرتبطا بطقس الاستماع للقرآن الكريم وكذا تنويعه لدرجات صوته الجميل في حزنه، على خلاف الشيخ الحصري اللي بيعطيني إحساس القوة فقط ولذا لا أتأثر به كما أتأثر بعبد الباسط، بيقل التأثير لما أسمع أصوات أخرى».

فيما يقدم أحمد العقلاني تفسيرا إعجازيا للارتباط بالشيخ عبد الباسط رحمه الله: «مرة وأنا طفل عندي ٥ سنوات كنت مع والدي في مسجد سيدنا الحسين، فحصل إن والدي التقى الشيخ وهو خارج من المسجد والشيخ عبد الباسط شالني وحضني، ومكنتش أعرف مين ده، فبحس إن عندي قرب نفسي من الرجل»، أليست كلمات أحمد دليلا على ما ذكره الباحث في دراسته عن الإعلام وما بعد الحداثة عن ثراء الشخصية الإنسانية المستهلكة للنصوص الإعلامية، وعن انعكاس ذلك على رؤية الذات، فيراها مفكرو ما بعد الحداثة متعددة، مفككة، متشظية تساءل نفسها باستمرار ؟!(٤١).

ويعد المفهوم ما بعد الحداثي (ميتافيزيقا حضور الصوت والكلمة) أكثر المفاهيم انطباقا على القرآن الكريم، فتأثير القرآن المسموع غير تأثير القرآن المقروء نتيجة أن الأول محمل بكل هذه الجماليات العاطفية المؤثرة، التي تجعل من خبرة الاستماع للقرآن خبرة فريدة للمسلم وغير المسلم، فلماذا إذن يدخل الإسلام عشرات ممن يؤثر فيهم القرآن دون أدني معرفة باللغة العربية؟!

وقد أجمع مبحوثي الدراسة أن تأثير القرآن يقل إذا سمعوه من قارئ غير مفضل لديهم، وهو الأمر الذي يؤشر على أهمية الوسيط البشري الذي ينقل معاني النص المقدس، فتقرر نادية: «أنا سماعي للقرآن أحيانا جماعي مع الوالد والوالدة وهم من عرفوني على الشيخ عبد الباسط وحببوني فيه، فيه شيوخ ساعات باسمع ليهم بلاقيهم بيزعقوا أو بيصرخوا، فابتعجب ليه، أنا مرتبطة بالترتيل، ترتيل الشيخ

عبد الباسط تحديدا».

أما رباب فترتبط بصوت مشاري راشد العفاسي لأنه يتميز بأن «ترتيله هادئ وبطء وفيه شجن الذي يؤدي الخشوع فأستطيع استيعاب المعاني، فضلا عن جمال الصوت وجاذبيته ومسه للقلوب والذي قرأت عنه من أن بعض الأجانب الذين لا يفهمون العربية يتأثرون بالقرآن، والأصوات الحزينة الهادئة تجذبني أكثر، تؤثر في أكثر، على خلاف شيوخ آخرين، ولذا أنا مرتبطة بالترتيل وليس بالتجويد».

فيما تفضل منى الاستماع للقرآن بصوت أحمد العجمي، «وسبب ارتباطي به يعود إلى الطفولة وولادتي وتربيتي ونشأتي في المملكة العربية السعودية، أفضل سماعه بسبب ترتيله وتجويده للقرآن علي نحو يروق لي, وليس بسبب تحزنه وشجنه، صوته فيه خشوع كبير وفيه راحة نفسية .. ويوحي ترتيله بالفهم».

وهكذا نرى أن الشجن والتحزن مرتبطان بالخشوع لدى معظم مبحوثي الدراسة إلا في حالة منى التي لا تربط الشجن والتحزن بأداء الشيخ أحمد العجمي.

وقد بدأت الأجيال المصرية الجديدة في الانفصال عن المدرسة المصرية في ترتيل وتجويد القرآن، وهي الأجيال التي تربت بعضها في بلدان المهاجر المؤقتة كبلدان الخليج وارتبطوا بالأصوات الخليجية كالعجمي والسديسي والعفاسي وغيرهم.

وتعددت أسباب تراجع مدرسة التلاوة المصرية أمام مدرسة التلاوة الخليجية بعد أن سادت المدرسة المصرية الوطن العربي لعقود طويلة امتدت من بداية القرن العشرين حتى بداية عقد الثمانينات منه، الأول: التأثير الثقافي للأفكار الوهابية التي تعد امتدادا لمدرسة أحمد بن حنبل في كراهة التغني بالقرآن، والثاني: تراجع القوة الاقتصادية المصرية الذي ترافق مع تراجع النمط الثقافي، والثالث: تصدر مؤسسات تعليمية إسلامية مقابل تراجع الأزهر عن دوره المحوري في التعليم والمركزي في التأثير، والرابع: تفضيل القنوات الفضائية المملوكة لرجال الأعمال السعوديين في الأغلب إبراز شهرة قراء الخليج على حساب نظرائهم من مصر، والخامس تدهور معايير اختيار قراء الإذاعة المصرية، والسادس تدهور الغناء المصري والعربي بشكل عام(٤٢).

وما زال بعض الشباب بالطبع مرتبطا بالأصوات المصرية ولكن أغلبهم في الريف الأمر يمكن ملاحظته من تفضيلاتهم في المنتديات الدينية وفي تعليقاتهم على تسجيلات اليوتيوب وغيرها من المنتديات المتخصصة في القرآن الكريم، وهي فكرة بحثية جيدة تستحق دراسة مستقلة.

وفي الريف، ليس شرطا الارتباط بالمشاهير فقد يكون الارتباط العاطفي بالمغمورين، يدعم ذلك ما خبره الباحث أثناء دراسته الاستطلاعية إذ قرر أحد المبحوثين ذوي الأصول الريفية: «نعم أحب اسمع يوميا كلا من القارئ الشيخ سيد عبد الشافي هلال والشيخ محمد أحمد بسيوني لان صوتهم جميل جدا».

ويبدأ الارتباط - لدى بعض المبحوثين- بصوت معين منذ بالطفولة، تلك المرحلة العمرية التي تحمل البراءة وحنان الأب والأم، وهي المرحلة التي يصفها علماء النفس ب»مرحلة ما قبل جنسية»، تحمل الطهارة والبراءة، لأن كثيرا من الجفاء مع الدين يحدث في سياق المراحل التي تلعب فيها الغريزة الجنسية دورا محوريا لا سيما للذكور، وهي الفرضية التي تستحق دراسة أخرى.

سادسا: حب الموسيقى والاستماع إلى القرآن الكريم

يمكن - من عينة البحث الصغيرة هذه - أن نضع فرضية مفادها أنه توجد علاقة ارتباطية بين الاستماع إلى القرآن الكريم وبين سماع الابتهالات والأدعية والأغاني الدينية للشخصية المحبة للموسيقى أو ذات الأذن الموسيقية أو التي على معرفة ودراية أولية بالمقامات الموسيقية، فجميع شركاء المعرفة يحبون الموسيقى والغناء بدرجات متفاوتة ومتدرجة. أعلاهم أحمد الذي له دراية أولية بالمقامات الموسيقية،

والاستماع للقرآن «يعيبنني على مراجعه ما تم حفظه من آيات القرآن الكريم وسوره وإحكام التجويد والترتيل، فالاستماع إلي القرآن يثقل موهبة التجويد والترتيل أما تعلمها فله دراسات خاصة وأساتذة متخصصين يدرسونه كأي علم آخر.

«والمقامات الموسيقية مجموعة في جملة (صنع بسحرك) وهي الصبا والنهاوند والعجم والبياتي والسيكا والحجاز والرست والكرد، ولكن قبل القراءة بالمقامات الموسيقية لابد من إتقان الأحكام التجويدية والمقام يتكون عادة من ثمانية أصوات أو درجات مختلفة هي درجات السلم الموسيقي، وبين هذه الدرجات مسافات معلومة هي التي تحدد روح المقام ونوعه إذا كان مقام ِفرح أو مقام حزن أو مقام حماسة ويُعَدٌ مقام الصبا هو مقام الحزن الذي أود إلي الاستماع به إلى معظم القرآن».

ويرتبط فتحي ذو الأصل الريفي بالرجوع للبلد (القرية الريفية) للاستماع للأصوات الحلوة، فترتيل وتجويد القرآن كفن أدائي مكانه في الريف وفي تجارب مستمعي الريف وهو ما يقتضي دراسة أخرى عن النشوة الجماعية للقرآن كنوع من الاتصال الجماعي ذي القبول الاجتماعي الذي ذكرناه في تضاعيف الدراسة، فعلى الرغم من أن فكرة التدوين هي فكرة أكثر خلودا، فإن خلود القرآن في ترديده وقراءته وسماع الأداء الحي المباشر والنشوة المترتبة على ذلك، تلك الخبرة القريبة من الوجدان والذهنية العربية، هي نشوة المؤدي والمستمع على حد سواء، فالجمهور الريفي حول قارئ القرآن هو من يجعله في حالة من الطرب والتسلطن.

يليه أكرم الذي يقرر أنه قبل اكتشافه لصوت محمد جبريل والوقوع أسيرا له، «ربطني بالإذاعة الابتهالات الدينية وخاصة بصوت المبتهل الكبير الشيخ سيد النقشبندي، والذي كان صوته بالنسبة لي عوضا عن ما افتقدته من إحساس مع من يقرؤون القرآن، وكنت ومازلت أعشق سماع صوته في رائعته (مولاي إني ببابك) وغيرها والذي ارتبطت به حتى صار جزء من يومي أستمع إليه مع أول استيقاظي من النوم وقبل أن آوي إلي فراشي في المساء، وأحيانا يداهم بالي فأبحث عنه وأسمعه في الحال، وبلغ ارتباطي بصوت هذا الرجل أنني وضعت ابتهالاته علي هاتفي وبين الحين والآخر أستمع إليها، وأبدل فيما بينها كنغمة رنين لهاتفي، ثم ومن خلال هذا الصوت بحثت عن المبتهلين أمثاله فتعرفت علي صوت الشيخ نصر الدين طوبار وعشقته أيضا وصارت تواشيحه جزءا من يومي.

«نعم أنا محب للموسيقى، وفي نفسي حتة فنية إني أطرب، وهذا ما جعلني أتعلق بالشيخ محمد جبريل، مرات أروح لصوته لأني محتاج للناحية الفنية أو الطربية التي تحدث هزة في المشاعر والنفس، هذه المقدرة الفذة على التنويع الصوتي في الآيات حتى الفاتحة، نعم أنا أسير لمحمد جبريل رغم أنني أحيانا اعتبره عيبا لأنه يحرمني من الجديد، تماما مثل ارتباطي بكاظم الساهر كملحن ومطرب، بسمع الجديد ولكن التقدير بيروح لهؤلاء».

ثم بدرجة أقل أحمد الروائي الذي يرى أنه: «مستمع ومتلق جيد ولكن لا دراية لي بالموسيقى كعلم، أحيانا استمع إلى التواشيح والابتهالات وأجد فيها متعة خاصة، لا سيما إن كانت تتضمن أبياتا من شعر الحكمة»، وفي هذا السياق تأتي نادية التي تسمع أحيانا «بعض الأغاني الدينية لماهر زين وسامي يوسف، ولكن والدتي مرتبطة أكثر بسماع الابتهالات والأدعية أكتر مني»، فيما كانت منى – التي نشأت في العربية السعودية – أقل المبحوثين ذكرا للناحية الموسيقية.

أما رباب فقد نقلتها تجربة المرض الصعبة من شابة مصرية عادية تسمع الأغاني وما ترتبط به من خيال إلى إنسان مرتبط بالقرآن الذي فيه شفاؤه: «كانت الأغاني زمان تعطيني طاقة إيجابية لو أغنية مفرحة وتعينني على أعمال البيت الكثيرة وتدخل الإنسان أحيانا في نوع من أحلام اليقظة متخيلا نفسه مطرب أو مطربة، أما الآن فكل هذه الطاقة يعطيني إياها القرآن وزيادة، بطلت أسمع أغاني، واستغرقت في القرآن.

«نادرا الآن ما أذهب حتى إلى الأغاني الدينية، نعم ما

زالت تؤثر فيا ولكن لا أعيدها، الآن أعيد الآيات مرة واثنين وأشغل السورة أكثر من مرة، بدأت أيضا أعامل القرآن بشكل مختلف عن الأغاني فلا يمكن أن أشغل مكنسة أو خلاط بجانبه، وبدأت أحمله معي من غرفة لأخرى، أصبح ونيسي وسميري».

وفيما يتعلق بالعلاقة بين القرآن الكريم والموسيقى العربية، من المهم أن نورد هنا رؤية الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب الذي يرى: «كل الفنون ارتبطت بالأديان والعبادات، في كل الحضارات العريقة القديمة كان الفن يخرج من المعبد، وفى عصر النهضة في أوروبا الموسيقى بدأت من الكنيسة وعندنا في مصر بالذات والعالم العربي بالطبع كان الارتباط ده ضروري مش مسألة مزاج، كان ضرورة إن الموسيقى تخرج عندنا من الجامع، لأن القرآن كان هو العامل الأهم والمصدر الرئيسي، الخشوع اللي فيه مذهل، والخشوع يعنى إحساس، والإحساس هو روح الفن، لا يوجد فن بدون إحساس وروح ووجدان.

«الموسيقى العربية خرجت من الجامع وكان لها ارتباط وثيق بالقرآن الكريم، والدليل على كده إن الجماعة الموسيقيين الكبار عندنا كانوا في الأصل من قارئي القرآن، لما نمسك عبده الحامولي اللي يعتبروه باخ الموسيقى العربية تلاقيه في الأصل كان مقرئا في الجامع الأحمدي بطنطا، عندك الشيخ سيد درويش، كانت نشأته دينية وكان قارئا للقرآن في بدايته بالإسكندرية، الشيخ أبو العلا محمد اللي قدم لأم كلثوم الكثير من ألحانه في بداياتها كان قارئا للقرآن، لما تيجى للمسرح المصري تجد أن عميده الشيخ سلامة حجازي كان شيخا ومقرئا، في الملحنين نجد الشيخ زكريا أحمد، وحتى رياض السنباطي وهو واحد من الملحنين المهمين اللي عندنا بدأ كقارئ للقرآن في المنصورة بس في الدرى مش قدام الناس وقالي بنفسه إنه اتعلم القرآن، والقائمة طويلة.

«حتى أم كلثوم كان من أبرز المزايا اللي فيها البيان أو الإبانة في حروفها وهى بتغنى، بحيث أنه لا يشكل عليك أي حرف، كل كلمة تجدها سليمة رصينة وبارزة وتخليك تفهمها بالضبط وكأنها بتجود قرآن، ما هو التجويد الغرض منه الإبانة، يعنى الآيات توصل للأذن واضحة مبينة، وده كان بسبب تأسيسها القرآني، ولاشك أن القرآن كان مصدرا كبيرا من مصادر تأسيسي أنا كمان كفنان، أنا طالع من جامع سيدي الشعراني وعشت واتربيت فيه وقرأت القرآن فيه واتخرجت منه»(٤٣).

ومدرسة التلاوة المصرية لها روافد عدة الأول: التراتيل والابتهالات الكنسية وتطورها، والثاني: الطرق الصوفية وتحديدا النقشبندية والشاذلية، والثالث: تنامي الازدهار الثقافي في فن الغناء وفن المسرح، ما بين منتصف القرن التاسع عشر وبداية العشرين وظهور معلمون (الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب) وتلامذة أبرزهم الشيوخ سلامة حجازي وأبو العلا محمد وزكريا أحمد وسيد درويش وانعكاس ذلك على القرآن، والرابع: تراث مدرسة القراءة الكوفية برواية حفص عن عاصم(٤٤).

والبعض يذهب للقول بأن التأثير كان في الاتجاه العكسي أيضا، فأثرت طرائق تلاوة القرآن وتجويده على نظام الموسيقى العربية جماليا، حيث ما زال الغناء العربي معتمدا على الميلودي أو اللحن الرئيس، وهو ما يؤديه المطرب الفرد أكثر من اعتماده على تعددية الأصوات أو البوليفونية التي تعرفها الموسيقى الكلاسيكية الغربية(٤٥).

سابعا: ارتباط المبحوثين بسماع سور وآيات معينة وأسبابه

الارتباط بالاستماع إلى سور وآيات معينة له أسباب كثيرة منها ما هو خاص بخبرة المبحوث وتجارب حياته، ومنها ما هو مرتبط بطبيعة شخصيته الهادئة أو القلقة الغضوبة، ومنها ما هو مرتبط بسبب يتعلق بالشيخ المفضل لدى المبحوث الذي يكون قد تألق في تجويد أو ترتيل سور بعينها، أو قد يرتبط بسبب عقائدي يتعلق بفضائل سور بعينها في أوقات معينة مثل الاستماع لسورة الكهف يوم الجمعة، أو بالمعاني الغالبة على سورة بعينها كمثل سورة يس المرتبطة معانيها بالنجاة من المكائد والأعداء، أو بالبنية القصصية الروائية لسور تشتمل على سير وحكايات الأنبياء.

وتأسيسا على ذلك، فإن تذكر الاستماع هو تذكر انتقائي بدوره، الإنسان ينتقي التلاوة أو التجويد المرتبط به والارتباط يكون على مستويين: الأول يتعلق بترتيل أو تجويد معين من حيث المقام الموسيقى الذي يتم القراءة فيه، والمستوى الثاني الارتباط بآيات تحمل معاني معينة مثل: آيات الرحمة، لعن الظالمين، آيات التعويض في الآخرة، هداية الله لعباده.

يحب أحمد الاستماع إلى سورتي مريم ويوسف، ويقدم أسبابا لذلك تتعلق بخبرة حياته: «سورة مريم بحس إنها مرتبطة بحياتي، مرتبطة بالمرأة وكفاحها، تعرضنا لظروف عائلية لأني والدتي كانت مسئولة عن الأسرة، وكان والدي شغال قطاع خاص ومنشغل طول الوقت، فوالدتي كان عليها عبء رعاية الأسرة، وبل وتحولت للمشاركة في الإنفاق المادي على الأسرة، فده جسَّد لي فكرة قد إيه المرأة قوية في ضعفها، مكافحة وتستطيع الوقوف أمام المجتمع كله، وتستطيع الصمود أمام المحن، وشفت ده في مرض والدتي ثم مرض زوجتي، بالنسبة لي سورة مريم فيها رقة وشفافية، أما سورة سيدنا يوسف فارتبطت بها لما كنت مسافر، كنت بسمعها كتير، خاصة مع مشاعر الغربة والحنين إلى الأهل والوطن».

ويتشارك أكثر من مبحوث في محبة سور حكايات الأنبياء والصالحين منهم فتحي الذي يقرر أن «السور التي أفضل الاستماع إليها هي المحتوية على قصص وعبر وحكايات مثل سور الأعراف وهود والقصص والشعراء والصافات لما فيها من عرض لقصص الأنبياء والرسل عليهم وعلي نبينا الصلاة والسلام وأحس فيها بالعبرة وما أعده الله لعباده الصالحين وما فعله الله بعباده الظالمين الجبارين المتجبرين».

وهو ما تؤكده منى بقولها: «أحب الاستماع إلي سورة الكهف والآيات التي تحوي مخاطبة الله عز وجل للأنبياء ودعائهم للمولى عز وجل».

ويعشق أكرم خواتيم السور لتفوق الشيخ محمد جبريل في أدائها: «مثل سورة الزخرف عندما يبدأ الشيخ بتلاوة قوله تعالى: (الأخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدو إلا المتقين) يقرأها ويعيدها ثلاث مرات، وكأنه في الأولي ينادي عليَّ فآتيه، ويهمس لي بالآية في أذني بالثانية، وفي الثالثة ومع ارتفاع أكثر في مستوي الصوت كأنه يؤكدها فأنتبه، ثم يعقبها بتلاوة الآية بعدها (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) بصوت ملئ بالشجن وكأنه يشرح الآيات ليعطي معنى للمؤمن أن لا يخاف من عقاب ربه للأخلاء غير المؤمنين، فالمتقون لا خوف عليهم من هول هذا اليوم فليسوا في عداد من يعادي بعضهم بعضا».

أما عن الشخصية وتأثيرها فترتبط نادية القلقة الغضوبة «بسماع سورة الواقعة، تخلص أعيدها تاني، وبحب سورة يس فلو متضايقة أشغلها فتعيدني لموود (مزاج) الانبساط وأقوم بالأعمال المتعطلة أو بهواياتي التي أحبها، وبحب آية (واذكر حكم ربك إنك بأعيننا)، بحس بأن القرآن أو ربنا يخاطبني، وبيروح غضبي لأني شخصية سريعة الغضب، ساعات بلاقي حل وساعات باسيبها على ربنا».

على خلاف أحمد الشخصية الهادئة المثقفة التي تقرر: «في تفضيل آيات بعينها، تجتذبني آيات الرحمة ووصف الجنة أكثر من آيات لعن الظالمين والعقاب، فأنا أميل إلى الترغيب أكثر من الترهيب، وأشعر أن دوافع الرغبة والإقبال الطوعي على أمر ما يكون أكثر قوة واستمرارا من الإقبال على شيء بدافع الخوف أو الرهبة».

وقد يسعد المرء بترديد القرآن مع الشيخ الذي يحبه في الأجزاء القرآنية التي يحفظها مثل رباب التي تفضل سماع جزء عم من مشاري العفاسي، ومنى التي تحب سماع نفس الجزء بصوت أحمد العجمي.

أما عن المعاني المرتبطة بسورة وإحساس المستمع بها فتحب رباب سورة المعارج «تشعرني أنها رسالة من الله إلى الإنسان واضحة وصريحة كما لو كان كل القرآن لخص في هذه السورة»، والأمر ينطبق على آيات بعينها مثل منى المرتبطة بالآيات التي تحض علي العلم «حيث تشجعني كثيراً على الدراسة منها: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)، (وقل ربي زدني علماً), والآيات المرتبطة بالألم وشفاءه مثل: «رب إني مسني الضر وأنت

أرحم الراحمين»، والأمل: (ربي إني لما أنزلت إلى من خير فقير)، والاحتساب والصبر عندما تعرضت لتجربة عاطفية ظالمة: (حسبي الله ونعم الوكيل)، (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)، (فما ظنكم برب العالمين)، (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)».

وهو ما يؤكده فتحي بحبه لآيات الرحمة: «(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب)، (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)، آيات لعن الظالمين عندما تآمر عليه زملاءه: (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله علي الظالمين)، (ألا لعنة الله علي الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون)، آيات التعويض في الآخرة: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما)، (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلي الله ورسوله ثم يدركه الموت أو القتل فقد وقع أجره علي الله)».

حدود الدراسة وما تثيره من قضايا:

كان القيد الأساسي في هذه الدراسة ممثلا في التساؤل الآتي: إلى أي مدى كان المبحوثين على استعداد للبوح بأفكارهم وخبراتهم عن الاستماع للقرآن الكريم في مذكراتهم والمقابلات التي أجريت معهم؟ وعلى الرغم من أن الباحث أكد لهم مرارا على سرية البيانات المجموعة وشجعهم على الكتابة بحرية وصراحة، فإن هؤلاء نتوقع منهم أنهم احتفظوا ببعض الخبرات عن الاستماع للقرآن ولم يفصحوا عنها في تضاعيف الدراسة، خاصة وأن اللجوء للاستماع للقرآن الكريم هو في جانب منه خبرة تطهرية ترتبط بالذنوب التي تحدث عنها شركاء المعرفة بشكل عام بينما تفصيلها كان من الصعوبة بمكان من ناحية، فضلا عن تناقض الحاجة إلى البوح والإفضاء مع الحاجة للستر من ناحية أخرى، وهي خاصية إنسانية طبيعية.

وقد ركزنا على خبرة بعض من هؤلاء الذين يتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والعشرين والأربعين لأسباب عملية هي القدرة على الكتابة عن الذكريات المتعلقة بالقرآن تلك التي لم نجدها – في الدراسة الاستطلاعية – حاضرة بقوة في الفئة العمرية من ٢٣ إلى ٢٨ وهي الفترة التي تعقب التخرج مباشرة والتي لا تحضر فيها الخبرة العملية بالحياة بكل صدماتها وقسوتها في معاينة الواقع واكتشافه، تلك التي تراكمت عند الشباب الناضج. وكذلك يفترض الباحث أن فترتي الكهولة والشيخوخة يتمخض عنهما خبرات فريدة أثناء الاستماع للقرآن في هذه المراحل. فكما ذكرنا فإن التعميم ليس هدفا على الإطلاق لدراسة كيفية مثل هذه الدراسة بقدر ما تعين هذه الدراسة على بناء النماذج النظرية التي تترسخ بتطبيقها الكمي فيما بعد.

ولذا نعتقد أن دراستنا هذه – التي وفقنا الله عز وجل إليها - تعبد الطريق أمام المزيد من الدراسات عن الاستماع للقرآن الكريم من جهة، وأمام المزيد من الدراسات الظاهراتية عن ظواهر إعلامية أخرى من جهة ثانية، وأن استكمالها بدراسات أخرى يعد أمرا شديد الحيوية ويمثل ضرورة بحثية ملحة.

ومع كل احترامي للدراسات الكمية والمداخل النظرية الوظيفية، فإن هذه الدراسة الكيفية هي التي تستطيع رصد لماذا يعد القرآن الكريم بامتياز نصا من نصوص الثقافة الشعبية التي لا غنى عنها في الثقافة العربية الإسلامية كي يستطيع المنتمي إليها مواصلة العيش وتحمل وطأة الوجود وتعقيداته، جنبا إلى جنب مع إدراكه لقدسية ما يسمعه من خلال استبصارات ذاتية لما يمثله القرآن في الحياة اليومية لكل مسلم.

هوامش الدراسة:

1. Ali Jihad Racy, Music Making in the Arab World: The Culture and Artistry of Tarab, UK: Cambridge University Press, Cambridge Middle East Studies, 2003. p. 17.

2. Daniella Talmon-Heller, Reciting the Qur'an and Reading the Torah: Muslim and Jewish Attitudes and Practices in a Comparative Historical Perspective, Religion Compass, 6(8), 2012. PP. 369–380. See also: Anna M. Gade, Recitation, Andrew Rippin (ed.), The Blackwell Companion to the Quran. London: Blackwell Publishing Ltd, 2006. Pp. 481- 493.

٣. نداء أبو مراد: «التلاوة المرنّمة لكلمة الله»، دورية معازف الإلكترونية، ٤ أغسطس ٢٠١٤، عن الأصل الفرنسي: Quelques réflexions sur la cantillation religieuse en Méditerranée », 2009, La pensée de midi / Actes Sud, Numéro 27, Musique et poésie.

٤. إيان كريب: النظرية الاجتماعية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٤، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٩. ص ص ١٤٨ – ١٤٩.

٥. فيليب هوليمان وإستيل كوليش: الظاهراتية، ترجمة حسن الطالب، دورية علامات، عدد ١٧، ٢٠٠٥. ص ص ١٠٨-١١٤.

6. Patrick Ferrucci et al, The Face book Experience: A phenomenology of Face book use, Online Journal of Communication and Media Technologies, ٥(٣), July ٢٠١٥. Pp. ١٧٦- ١٩٧.

7. Jane Ritchie & Jane Louis, Qualitative research practice, London: Sage publications, 2003, p. 3.

8. Patrick Ferrucci et al, op. cit., Pp. 176- 197.

٩. أكرم محمد أحمد المتولي: «استخدامات الطلاب المكفوفين بالمعاهد الأزهرية للبرامج التعليمية بإذاعة القرآن الكريم والإشباعات المتحققة منها»، رسالة ماجستير، غير منشورة،كلية التربية النوعية، جامعة المنصورة، ٢٠١١.

١٠. هاني عبد الله قرني هلال: «علاقة إذاعة القرآن الكريم بالتثقيف الديني للمراهقين المكفوفين»، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم الإعلام وثقافة الأطفال، المعهد العالي للطفولة، جامعة عين شمس، ٢٠٠٩.

١١. سحر فؤاد أحمد علي: «دور إذاعة القرآن الكريم في التثقيف الديني للشباب الجامعي»، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم الإذاعة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٨.

١٢. محمود محمد محمود خليل: «علاقة برامج إذاعة القرآن الكريم بالاتجاهات الدينية لدى الشباب في الفترة العمرية من ١٨ إلى ٢٢ سنة»، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم الإعلام وثقافة الأطفال، المعهد العالي للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩٤.

١٣. هالة عوض عبد العظيم العسيلي: «المضمون التربوي لبعض برامج إذاعة القرآن الكريم في ضوء احتياجات المواطن المصري»، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، قسم أصول التربية، ٢٠٠٨. ص ٣٣٠.

١٤. الدراسة السابقة، ص ص ١٦-١٨.

١٥. محمد عمر علي مبارك: «التربية الأسرية في ضوء القرآن

والسـنة»، رسـالة دكتـوراه، قسـم أصـول التربيـة، كليـة التربيـة، جامعـة المنيـا ، ٢٠١٠. ص ٣٤٠.

16. Shah Alam & Zulkurnaini, The Comparison between Listening to Al-Quran and Listening to Classical Music on the Brainwave Signal for the Alpha Band, 2012 Third International Conference on Intelligent Systems, Modeling and Simulation (ISMS), 10-Kota Kinabalu: Malaysia, 8 Feb. 2012.

17. Mohamed Heidari & Sara Shahbazi, Effect of Quran and Music on Anxiety in Patients during Endoscopy, Knowledge and Health, Shahrekord: Iran, 8(2), summer 2013. Pp. 37-70.

18. Alhousein Alzeer et al, Stress Assessment While Listening to Quran Recitation, 2014 International Conference on Computer Assisted System in Health (CASH), Kuala Lumpur: Malaysia, 5 9-December 2014.

19. Monireh Mahjoob et al, The Effect of Holy Quran Voice on Mental Health, Journal of Religion and Health, 3(1), January 2014. Pp. 55-75.

20. Mohamed Amzari Tumiran et al, Addressing sleep disorder of autistic children with Qur'anic sound therapy, http://dx.doi.org/10.4236/79-health.2013.58A2011, SciRes, Vol.5, No.8A2, 73 (2013). Pp. 2-55.

21. Siti Sarah Haimi, Factors of Interacting with the Quran in Religious Life Appreciation Process among UKM Students, Mediterranean Journal of Social Sciences, MCSER Publishing, Rome-Italy, Vol. 6 No 4 S3, August 2015. pp. 606- 621.

22. Ehab Galal, Magic spells and recitation contests: the Quran as entertainment on Arab satellite television, Northern Lights: Film & Media Studies Yearbook, Volume 6, Number 1, June 2008, pp. 165-179.

23. Charles Hirschkind, The Ethics of Listening: Cassette-Sermon Audition in Contemporary Egypt, American Ethnologist, Vol. 28, No. 3 (Aug., 2001), pp. 623-649

24. Birgit Meyer, Religious Sensations: Why Media, Aesthetics and Power Matter in the Study of Contemporary Religion, Amsterdam, Holland: Vrije Universiteit, 2006. Pp. 1-27.

25. Habibullah Abbasi et al, Mystics and Listening to the Quran, Pazhuhishnaih Ifran, 2(4) Spring Summer 2011, pp. 59-78.

26. Anne Rasmussen, Women, the Recited Qur'an, and Islamic Music in Indonesia, Journal of Middle East Women›s Studies , Volume 8, Number 2, Spring 2012. pp. 105-107.

27. _____ ,The Qur›an in Indonesian Daily Life: The Public Project of Musical Oratory, -Ethnomusicology, Vol. 45, No. 1, Winter 2001, pp. 30 57.

28. Ian Bedford, The Interdiction of Music in Islam, The Australian Journal of Anthropology, 2(1), 2001, pp. 1-14.

29. Ferial Khalifa, «Quran Recitation: The aesthetics of Piety and the Ethnographic Lens», Fourth International

٣٨. عدنان محمد علي المحادين: تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، السعودية، ٢٠٠٦. ص ص ٥٥-٦٠.

Birgit Meyer, Religious Sensations: Why .39 Media, Aesthetics and Power Matter in the Study of .31-Contemporary Religion, op. cit., Pp. 30

٤٠. محمود السعدني: ألحان السماء ط٢ (القاهرة: دار أخبار اليوم للطبع والنشر، ١٩٩٦) ص ٧٨.

٤١. محمد حسام الدين إسماعيل: الصورة والجسد: دراسات نقدية في الإعلام المعاصر ط٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠) ص ص ٤١-٥٥.

٤٢. نبيل حنفي محمود: قيام وانهيار دولة التلاوة، مجلة الهلال، يونيو ٢٠١٥. ص ص ٢٣-٣٨، وانظر أيضا ياسمين فراج: أربعة أسباب لتراجع مدرسة التلاوة المصرية لصالح الخليج، نفس العدد، ص ص ٣٩-٥٥.

٤٣. المصري اليوم: حوار لموسيقار الأجيال عمره ٣١ سنة ينشر لأول مرة: رفضت تلحين أغان دينية رغم أنى تربية مشايخ، ١١ مايو ٢٠١٦.

٤٤. أحمد الواصل: «حناجر الإله المؤجلة: خطاب التنازع النجدي الحجازي»، دورية معازف الإلكترونية، ٥ أغسطس ٢٠١٤.

Ali Jihad Racy, Music Making in the Arab World: .45 .The Culture and Artistry of Tarab, Op. Cit., p. 17

Conference on Social Thought and Theory in the MENA Region «Comparative Methods in Studying .28-April, Turkey. Pp. 1 8-Religion and Society», 5

Kazuo Ohtsuka, How is Islamic Knowledge acquired .30 in Modern Egypt? Ulama, Sufis, Fundamentalists and Common People, Senri Ethnological Studies, 28(1), .1990. pp. 67- 82

Frederick Mathewson Denny, Qur'ān Recitation: .31 A Tradition of Oral Performance and Transmission, .26-pp. 5 ,1989 ,2-1/Oral Tradition, 4

Kristina Nelson, The Art of Reciting the Qur›ān. .32 .Austin: University of Texas Press, 1985

.15-Jane Ritchie & Jane Louis, op. cit., pp. 10 .33

Jacqueline H Watts, Emotion, empathy and exit: .34 reflections on doing ethnographic qualitative research on sensitive topics, Medical Sociology online, 3(2), July .14-2008, pp. 3

.Patrick Ferrucci et al, op. cit., pp.176 - 197 .35

Clark. E. Moustakas, Phenomenological Research .36 Methods. Thousand Oaks: Sage Publications, 1994. Pp. .60-55

Bernard Baars, In the Theater of Consciousness, .37 .10-New York: Oxford University Press, 1997. Pp. 5

دليل كتابة اليوميات والمذكرات
في أسبوع سجل الآتي:

١- طقوس الاستماع إلى القرآن الكريم

• متى؟ الصباح – منتصف النهار – في الليل – قبل النوم

• أين؟ البيت – السيارة – وسيلة المواصلات – العمل – النادي – أخرى.

• من أي وسيلة إعلامية (إذاعة القرآن الكريم – إذاعة أخرى تذكر -تسجيل كاسيت – سي دي – ملفات رقمية على الكمبيوتر – اليوتيوب – راديو الدش - أخرى).

• متوسط فترة الاستماع (أقل من ساعة – ساعة – ساعتين وأكثر)

• مع من (لوحدك – مع أفراد الأسرة ومن هم؟ - مع الأصدقاء ومن هم؟).

• درجة التركيز (في الخلفية وأنا أقوم بأشياء أخرى – تركيز كبير - ضعيف).

• الشرود (ما الأفكار التي تنتابك أثناء الشرود؟)هل هناك مدى زمني معين لتركيزك في الاستماع للقرآن؟

• هل تؤمن بأن تشغيل القرآن يطرد الشياطين ويحل البركة والسكينة في البيت أو يجلب الرزق؟ تكلم عن ذلك بالتفصيل.

٢- الاستماع للقرآن في مواقف معينة

• اذكر المواقف (شدة – حزن – خلافات مع أفراد الأسرة – مشاكل في العمل – تأخر العمل أو الزواج – الإحساس بالوحدة أو الوحشة - شعور بالذنب – أزمة اقتصادية - أخرى).

• اكتب موقفا أو أكثر بالتفصيل اشتدت فيه الحاجة لسماع القرآن.

• اكتب عن الحالة النفسية والمزاجية قبل الاستماع – أثناء الاستماع – بعد الاستماع.

• اذكر تيار الأفكار التي تفكر فيها أثناء الاستماع (معنى الآيات – تفسير الآيات – المواقف التي كانت سبب للاستماع – تخيل حل عقلاني للمشكلة أو الأزمة – خيالات إعجازية مثل هبوط ثروة أو زيجة جميلة أو انتقام الله من الظالمين).

• اكتب ذكرياتك التي لا تنسى عن موقف أو أكثر بالتفصيل لعب فيه القرآن دورا محوريا – هل تذكر أي آيات؟ – هل تذكر القارئ؟

• هل البكاء جزء من استجابتك للاستماع للقرآن – اكتب بالتفصيل عن ذلك.

• هل هناك أشياء معينة يستحب بعدها الصلاة أو الاستماع للقرآن؟ تكلم عن ذلك لو أردت.

• هل تستخدم الاستماع القرآن لتحسين الحالة المزاجية – بديلا للأغاني والموسيقى؟ ولماذا؟

• هل الاستماع للقرآن يلحقه استماع لابتهالات وأدعية – رقى شرعية - أغاني دينية؟ تكلم عن ذلك بالتفصيل.

• هل تستخدم الاستماع للقرآن كمعين على حفظه أو تعلم ترتيله أو تجويده؟

٣- الاستماع للقرآن بصوت من؟

• ما الشيوخ الذين تفضل الاستماع لهم – اذكرهم بالتفصيل.

• ما أسباب ارتباطك بشيخ معين؟ تكلم عن ذلك.

• هل هناك تسجيلات معينة يتكرر الاستماع إليها ولماذا؟

• هل الشجن والتحزن جزء من حبك لشيخ معين ولماذا؟

• هل تعرف شيئا عن المقامات الموسيقية التي يرتل أو يجود بها القرآن؟ تكلم عن ذلك بالتفصيل.

• هل هناك أوقات أو أحوال تكون استجابتك للقرآن في ذروتها؟ قدم وصفا دقيقا لموقف من هؤلاء (ألم – حزن – فرح – أخرى).

• هل هناك حالات نفسية لا يحقق الاستماع للقرآن فيها الشعور بالتحسن؟ كيف تفسر ذلك؟ ما البديل الذي تذهب إليه (ابتهالات – أغاني دينية – أغاني عاطفية – مواد أخرى) ..

٤- محتوى الاستماع للقرآن

• هل هناك سور أو آيات معينة تفضل الاستماع إليها ولماذا؟ تكلم عن ذلك بالتفصيل.

• آيات الرحمة، لعن الظالمين، آيات التعويض في الآخرة، هداية الله لعباده، أخرى.